
مراهقة
بلا مشاكل!
چوزيف صابر
Bibliotheca Alexandrina
0156298


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



تأليف
چوزيف صابر




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إهداء

إلى أحفادي

« طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقه . . .

بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك ...

يباركك الرب . . . وترى بني بنيك . »

(مز ١٢٨)



المحتويات



مقدمة

يُسمي البعض مرحلة المراهقة « أزمة المراهقة » ، والأزمة لُغويًا تعني الانقباض والشدة والألم .. فهل هي أزمة فعلاً ؟ كما يعتبرها البعض مرضاً لابد أن يُصيب الإنسان .. كالحصبة مثلاً للأطفال قبل اكتشاف المصل الوقائي .

تُرى هل هي أزمة أو مرض ؟

وهل يمكن أن تمر هذه المرحلة بلا مشاكل ؟

نعم .. المراهقة مرحلة طبيعية من عمر الإنسان ، ليست أزمة ولا مرضاً بل هي انسلاخ من الطفولة إلى الرشد بما يصاحب هذه العملية من بعض الآلام .

فإذا فهم الآباء نفسية الأبناء ، وفهم الأبناء فكر الآباء تمر هذه المرحلة بكل سهولة ويسر ، بلا ضيق ولا ألم ولا صراخ ولا تشنُّجات ، بل سيستمتع بها الآباء والأبناء .

هذا الكتاب لا يقدِّم وصفة لكل بيت ولكل مشكلة ، لكنه يقدِّم دراسة لعلها تُنبِّه الآباء والأمهات لتفهُّم الشباب في مرحلة حرجة من حياتهم . كما تكشف للشباب مدى عمق محبة والديهم لهم .

التربية السليمة لا تتم بالصدفة ، بل تحتاج لتفهم ودراسة وجهد ووقت ؛ فلا نتوقع أن يكبر أولادنا بالصورة التي نتمناها دون عمل وجهد .

وكاتب هذا الكتاب يكتبه من منطلق خبراته في مجال التعامل مع الشباب خصوصاً في هذه المرحلة .

فهو أب عايش هذه المرحلة في حياة ابنتيه ، فصادقهما وحاول تفهمهما ؛ فلم يشعر بمشاكل خاصة بهذه المرحلة . كما أنه مُعلِّم عمل بالتدريس في عدة مدارس إعدادية وثانوية في بيئات مختلفة ، وقد استمتع بهذا العمل لأن مهمته لم تقتصر على شرح المقررات فقط بل صادق تلاميذه ، واشترك معهم في أنشطتهم المختلفة الاجتماعية والثقافية والروحية أحيانًا . كما كانت له معهم ومعهن الكثير من جلسات الريادة والمشورة .

كما كان قائدًا للشباب الإنجيلي لفترة غير قصيرة من حياته قاد خلالها حركة الشباب ، وكثيرًا من المؤتمرات واللقاءات والقوافل . كما اشترك في النشاط المسكوني للشباب ، وأخيرًا اتجه إلى مجال المشورة يقدِّم من علمه وخبراته الكثير للشباب من الجنسين .

وقد دفعه إلى كتابة هذا الكتاب ما لمسه من احتياج شديد عند كثير من الأسر . فأراد أن يُكمل ما بدأه من كتاباته عن الشباب والزواج ليكون هذا الكتاب مُعينًا للأسر والقادة .

هذا الكتاب مكتوب للآباء ، والأمهات ، والمعلِّمين ، وقادة اجتماعات الشباب ، كما أنه مكتوب للشباب في مرحلة المراهقة . والهدف منه أن يتفهَّم الآباء والقادة الشباب ، كما يتفهَّم الشباب آباءهم وقادتهم .

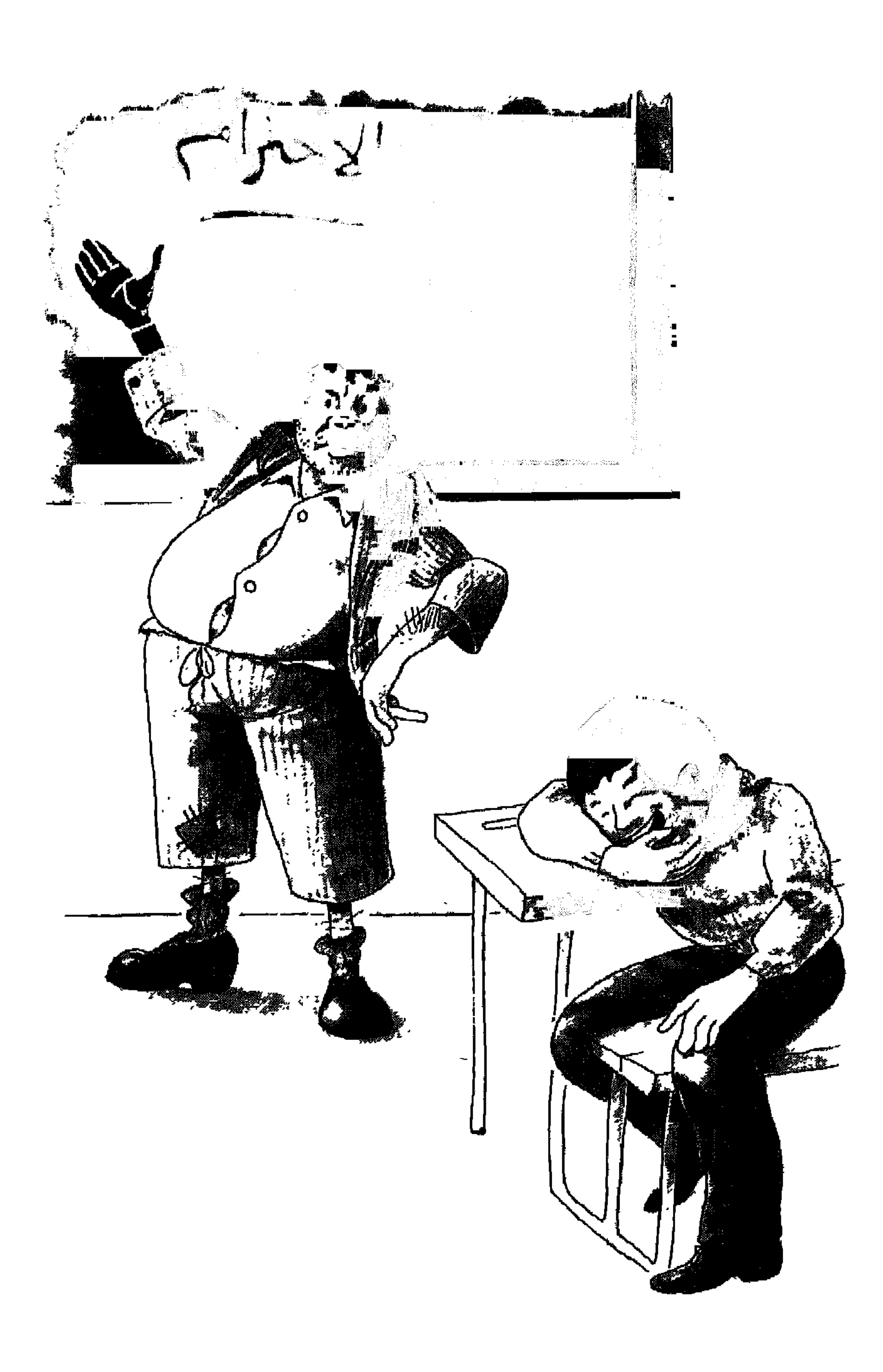
فقط نُوجِّه النظر إلى معاني بعض الكلمات المستخدمة في هذا الكتاب منعًا للبس أو الظن أنه مُوجَّه لجنس دون آخر . فليس من السهل أن نذكُر في كل سطر من سطور الكتاب الفتى والفتاة ، المراهق والمراهقة ، الشاب والشابة . لكننا عندما نقول المراهق فإننا نعني به دائما المراهِقة والمراهِق ، وعندما نُخصِّص الكلام لجنس واحد فقط فسنذكر ذلك .

كما أن كلمة الآباء نعني بها الآباء والأمهات ، كما نقصد الأب والأم عندما نقول الوالدان ؛ وذلك من باب التغليب .

نرجو أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لأسرنا ولشبابنا ولكل قارىء له .

الناشر




الاحترام



البداية
التربية والقيم

التربية هي عملية تشكيل وتنمية حتى يتوافق الفرد مع مجتمعه . وتتم التربية إما بطريقة مقصودة بالتعليم في البيت والمدرسة ، أو بطريقة غير مقصودة نتيجة حصول الفرد على خبرات مختلفة خلال تعامله مع بيئته ، ومع غيره من الأفراد في مواقف مختلفة من حياته . ويقوم المربِّي بتوجيه الفرد للحصول على الخبرات المرغوبة في السلوك ، وفي عملية النمو .. منذ الولادة وحتى نهاية الحياة .

من الطبيعي أن يختلف هدف التربية - أي الصورة التي نريد أن يتشكل الفرد عليها - كما يختلف أسلوب التربية من مجتمع لآخر . فإن كان الهدف مثلا تكوين مواطن قوي محارب - مثل مجتمع إسبارطة قديماً أو بعض المجتمعات البدائية - فإن أسلوب التربية يعتمد على التربية الصحية الجسمانية ، وعلى تعلُّم فنون القتال ، واكتساب قيم مُعيَّنة مثل القوة والكرامة والانتقام .

أما إذا كان الهدف تكوين الشخصية المسالمة .. كالمجتمع السويسري مثلاً فإن أسلوب التربية يعتمد على قيم الحب والتسامح والتعاون .

في المجتمع الواحد تختلف أهداف التربية وأساليبها أيضًا بحسب

الجماعة التي يتربَّى فيها الإنسان . ففي مجتمع الكنيسة مثلا يكون الهدف تكوين الفرد المؤمن الذي يسلك بحسب تعاليم السيد المسيح ، ويُحب الله والناس . وفي هذه الحالة إن وُجد شخص بين الجماعة يسرق ، أو يقتل ، أو يكذب فإن الجماعة لا ترتاح إليه وتلفظه .

أما إذا وُجد شخص في جماعة من اللصوص فإنه يتربَّى على قيم مختلفة ؛ فيصبح اللص والنشال هو الشخص المرغوب فيه ، أما الأمين فيُعتبر فاشلا تلفظه الجماعة وتحتقره .

إذًا فهدف التربية ليس هدفًا ثابتًا بل يختلف من مجتمع لآخر ، ومن جماعة لأخرى .

لكن ما علاقة الحديث عن التربية في مجال كتابنا عن المراهقة ؟

إننا لا نعني أن التربية تبدأ من مرحلة المراهقة ؛ فالتربية كما قلنا تبدأ منذ الولادة . لكن في هذه المرحلة تظهر بعض الأخطاء التي ارتكبها المربُّون من الآباء والمدرسين والقادة . ويتنبه الآباء إلى أخطائهم في تربية أبنائهم عندما يلاحظون انحرافًا في سلوك المراهق .

وقد شبَّه أحدهم هذا الموقف بالأم التي تضع الفطيرة في الفرن وتنساها ولا تتذكرها حتى تشم رائحة احتراقها ، وعندئذ لا يمكن إصلاحها . فهل فات الأوان إذًا ؟

لا .. بل هناك أمل مادمنا نهتم بدراسة الأخطاء ونحاول إصلاحها . ويكون الإصلاح عادة بُناءً على رغبة الآباء ، وجهد من الأبناء .

أهداف التربية السليمة :

(١) تَوافُق الفرد مع مجتمعه ، وذلك بتبني قيم المجتمع وثقافته .

(٢) تنمية الكفاءة الاجتماعية ؛ إذ يتعلم الفرد طرق التعامل مع الآخرين ليكون مقبولاً منهم .

(٣) نمو الوعي والمسئولية عند الفرد .

(٤) تكوين الإنسان المثقف ، والملتزم بالقيم المسيحية (مع التميُّز في تخصص معين) .

(٥) اكتساب مهارة الاستفادة من المعلومات ، وكيفية تطويعها واستخدامها .

المراهق والقيم :

ربما لاحظت أن من أهم أهداف التربية السليمة التركيز على تثبيت القيم المرغوبة عند الفرد ؛ لذلك فلابد من التركيز على بعض القيم الأساسية في هذه المرحلة . ونقول **التركيز** لأن اكتساب القيم يبدأ في مرحلة مبكرة منذ الطفولة .

والقيمة هي غاية مرغوبة يتمسك بها الفرد ، ويريد تحقيقها في حياته كالأمانة ، والصدق ، والشجاعة ، والتضحية ... إلخ .

ونحن لن نستطيع أن نتحدث هنا عن كل قيمة من القيم المرغوبة بالتفصيل ، إلا أننا نُقْصِر حديثنا على بعض القيم التي تهتز في مرحلة المراهقة .

الاحترام والإكرام :

من المفروض أن يتعلم الطفل احترام والديه ومعلميه ، وكل مَنْ هم أكبر منه سنًا . إلا أن بعض المربيِّن يتهاونون في تدريب الطفل أحيانًا على تثبيت هذه القيمة .. كأن يسمح الأب لطفله أن يشتمه أو يضربه ، ويضحك لذلك ؛ مما يجعل الطفل يظن أن هذا هو السلوك المرغوب . وتظهر المشكلة بصورة مُكبَّرة في مرحلة المراهقة ؛ فبدلاً من أن يعامل المراهق والده ووالدته بالاحترام نجده يتطاول عليهما أحيانًا باللفظ ، وفي أحيان أخرى قد يجرؤ ويستخدم يديه . وللأسف فإن بعض الآباء يخطئون إذ يثبِّتون القيمة العكسية فيشجعون أبناءهم على الحديث معهم بلغة ليس فيها الاحترام الكافي ، أو يتبادلون معهم النكات البذيئة ، أو يشتركون معهم في التدخين أو شرب الخمر ، أو قد يشجع الأب ابنه على مضايقة البنات اعتقاداً منه أن هذه مبادىء الرجولة . لذلك ليس غريبًا ولا مستبعداً أن تزول هذه القيمة ويكون أول من يعاني من ضياعها الوالدان . ونسمع الشكوى من

الآباء هذه الأيام : ابني لا يحترمني ، ابنتي تتهكم من أمها . أين أيامنا عندما كنا نُقبِّل يد أبينا ، ونصمت إن تكلم ... إلى آخر هذا الحديث .

ما أجمل أن يتعلم الأبناء مخاطبة الوالدين بالاحترام الواجب ! وهنا يجب أن نُفرِّق بين الحب والاحترام ؛ فقد يُحب الابن أباه لكنه لا يحترمه . فالحب عاطفة طبيعية بين الأبناء والآباء .. فمن الطبيعي أن يُحب الأبناء والديهم ، كما أنه طبيعي أيضًا أن يُحب الآباء أولادهم . لكن الاحترام غير الحب ؛ فهو اختيار أخلاقي . وهناك فرق بين الحب والاحترام ؛ فالحب يُقرِّب بين الآباء والأبناء ، أما الاحترام فيحافظ على المسافة بينهم . فقد يداعب الابن والده ويضحك معه دليلاً على الحب والألفة التي تقربهما معًا ، لكن هناك حداً للعب لا يجب أن يتعداه ؛ فلا يلفظ الابن ألفاظًا لا تليق ، ولا يهزأ منه أو يحتقره .

لا شك أن الحب لا يستغني عن الاحترام في العلاقة بين الوالد والابن ، كما لا يستغني الاحترام عن الحب . فالحب بدون احترام تسيُّب ، والاحترام بدون حب جمود لا يناسب العلاقة بين ابن وأبيه أو أمه . فقد يحترم الولد أباه القاسي الشرير السكير لكنه لا يحبه ؛ فهو يحترمه خوفًا منه لا حبًا فيه .

ونقول للفتاة والفتى إن احترام الوالدين يعني الاستماع لهما بكل وقار عندما ينصحان أو يتحدثان . وإن اختلف رأي الأب عن رأي الابن فعلى الابن أن يشرح بكل احترام وهدوء وجهة نظره .

ولا يجب أن يكون الغرض من الحوار في هذه الحالة هو فرض الرأي أو الدفاع عن وجهة النظر فقط ، أو الهجوم على الرأي المخالف بل لابد أن يكون الهدف هو التفهُّم والاقتناع بالرأي الأفضل والأسلم ، ولو كان هو رأي الابن والابنة .

ودور الأبناء في هذا المجال هو مساعدة الآباء على الثقة فيهم وفي صدقهم ، وحسن تصرفهم فعندما توجد الثقة يتأكد الحب والاحترام . كما يضع الأبناء نصب عيونهم أن يكونوا موضع افتخار والديهم ؛ فهذا أكثر ما يُسعد الوالدين . ولكي يكونوا موضع الافتخار لابد أن يكون سلوكهم

سليمًا وتميُّزهم الخُلقي والعلمي واضحًا . وبذلك تتثبت قيم الحب والاحترام بين الآباء والأبناء .

الطاعة :

هذه إحدى القيم التي تهتز كثيرًا في مرحلة المراهقة ، وتؤثر على العلاقة بين الأبناء والآباء . فقد تعوَّد الآباء من أطفالهم الطاعة الكاملة ، لكن فجأة يصل المراهق إلى مرحلة التمرُّد . . فما المقصود بالطاعة ؟

إن مفهوم الطاعة مُرتبط في الأذهان بمعنى سلبي ، وهو الخضوع والاستسلام دون مناقشة . حتى اشتهر القول : « الطاعة العمياء » أي الطاعة بلا مناقشة كطاعة الجندي للقائد .

لكن طاعة الوالدين ليست عمياء ، بل طاعة مبنية على علاقة محبة متبادلة بين الأبناء والوالدين .

فالطاعة والاحترام هما وجهان لعملة واحدة ؛ فاعتراف الابن باحترامه وتقديره لوالديه يجعله يسعى لطاعتهما . ويُراعَى أن الطاعة كما رسمها الكتاب المقدس هي للأم وللأب على قدم المساواة :

« أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق . أكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض . » (أفسس ٦ : ١ – ٣)

ونحن نحتاج أن نحدد نوع العلاقة بين الوالدين والأبناء في موضوع الطاعة .

مسئولية الآباء :

(١) هل إعتاد الآباء على إصدار أوامر لا مبرر لها سوى مجرد الإصرار على إثبات السلطة ؟

يحسُن أن يُراعِي الآباء بناء أوامرهم على أسباب ، وشرح سبب إصدار الأمر بقدر الإمكان . صحيح أن الأب قد يشرح وجهة نظره ، والابن لا يقتنع بها . وما لم يقدِّم الابن أسبابًا معقولة لاعتراضه يجب أن

يخضع في هذه الحالة لرأي الأب .

(٢) بعض الآباء يُصدرون أوامر مطلقة مثل : " ممنوع الخروج من البيت بعد الظهر للتفرغ للمذاكرة . "

لكن يجب أن تكون هناك حالات للمنع ، وحالات للتصريح بحسب كل موقف . فالمنع المطلق في هذا الموضوع أو غيره يجعل الابن يرفض الأمر ويحاول كسره أو التحايل عليه .. مثل الخروج في حالة عدم وجود الأب في البيت ، أو الشعور بالاضطهاد والتذمر . ويظهر هذا واضحًا في حالة الأوامر المطلقة للفتيات بعدم الخروج ، أو بعدم التأخر مساءً ، أو بعدم لبس ملابس معينة أو بعدم الحديث في التليفون مطلقًا.

(٣) هل يُراعِي الآباء حاجة المراهقين للاستقلال في هذه المرحلة ؟ وهل يترك الأب لابنه مساحة من الحرية يُمارس فيها حريته في اتخاذ القرارات ، أو في التصرف ؟ أم يتدخل الآباء في كل شيء يخص حياة الأبناء ؟ هل يتدخل الوالدان في أسلوب استغلال الابن لوقت فراغه ؟ وهل تطلب الأم من ابنتها أو ابنها تنظيم غرفته بشكل معين ، أم تترك لهما حرية الاختيار ؟ هل يُحاسب الأب ابنه على المصروف فلا يشعر الابن أن هذا المبلغ من المال مِلْك خاص له ؟

(٤) يجب أن يأخذ الآباء في اعتبارهم إمكانيات الابن فيما يُطلب منه ؛ فلا يطلبون منه ما لا يستطيع عمله . بمعنى آخر .. ضع نفسك مكان ابنك لتعرف إمكاناته .

(٥) عندما يعطي الأب (أو الأم) تعليماته يُراعى أن تكون بسيطة وخالية من العنف أو الانفعال مع جعل الابن يشعر بالاحترام .

دور الأبناء :

(١) ليست الطاعة خضوعًا سلبيًا ، أي أنه ليس أمام الابن إلا أن يُطيع مضطرًا . لكنها طاعة إيجابية بأن يُبدي الابن رغبة قوية في طاعة والديه .

(٢) إن طاعة الابن لوالديه تتضمن عدم تمسكه بحقوقه أو حريته

تمسكًا لا يحيد عنه ، بل تستلزم استعداد الابن لسماع نصائح والديه وإرشاداتهم وانتقاداتهم وتوبيخهم ؛ فالطاعة ليست أمرًا سهلاً .

وحيث أن الأب (أو الأم) ليس معصومًا من الخطأ فإنه قد يُقدِّم نصيحة غير سليمة أحيانًا ، أو يقرر قرارًا غير صائب . لكن حتى إذا حدث هذا يجب أن يكون الابن مستعداً للطاعة مع توضيح عدم موافقته بكل تواضع واحترام .

(٣) إن الطاعة للوالدين تكون « في كل شيء » (كولوسي ٣ : ٢٠) ، وقد يتساءل البعض ما المقصود بكل شيء ؟

إن الطاعة تكون في كل شيء إلا إذا طلب أحد الوالدين أشياء تتعارض مع الولاء لله ، أو ضد الضمير مثل الأفعال الغير أخلاقية .

إن طاعة الوالدين خصوصًا في مرحلة المراهقة ليست أمرًا سهلاً - كما ذكرنا ؛ إذ أن المراهق يُريد التحرر من سلطة والديه والتعلق بهما . كما أنه يتعرض لضغوط خارجية مثل ضغط « الشلة » التي تدفعه للتحرر من التقاليد ، بل وتمدح وتمجد الفرد المتطرف في هذه الناحية ، وتنظر إليه كبطل .

(٤) إن الطاعة المطلوبة هي « في الرب » (أفسس ٦ : ١) . وكثيرون من الأبناء يجدون في هذه الكلمات حجة للتهرب من طاعة الوالدين . فيقول الابن : " أنا مستعد لطاعة والدي في كل ما يطلبه مني في الرب " أي مادام المطلوب حسب إرادة الله ومشيئته ، أما إذا شعرت أنه مخالف لإرادة الله فلن أطيع ؛ إذ أن الكتاب يُعلِّمنا « ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس » . وهنا نقدِّم مثالاً لنفهم هذا الموقف .

ابن مسيحي يواظب على كل اجتماعات الشباب والكنيسة ، وهو طالب في الثانوية العامة . يرى الابن أن هذه الاجتماعات تفيده روحيًا ، لكن أباه طلب منه الاكتفاء بحضور اجتماع واحد في الأسبوع ليتفرغ لمذاكرته حتى ينتهي من المرحلة الثانوية . لكن الابن رفض طلب أبيه بدعوى أنه غير مؤمن ، وبالتالي فإن طلبه ليس في الرب ، وأنه ينبغي طاعة الله أكثر من الناس . هذه رؤية الابن وحُكمه على الموقف ، لكنه فشل في إدراك أن الله

استخدم والده لكي يُحدث توازنًا في حياته . لأن إرادة الله ودعوته للطالب أن يجتهد ويتفوق في دراسته حتى تصبح حياته شهادة حسنة لوالديه ولأصدقائه .

إن استخدام آيات الكتاب المقدس بهذا الأسلوب يُخرجها عن معناها الحقيقي ، وهو : « حيث أننا في الرب فيجب أن نطيع والدينا » ، والرب هو القادر أن يُعطينا القوة لنحبهما ونحترمهما .

للآباء والأبناء معاً :

(١) إن العلاقة بين الأبناء والآباء مبنية على الطاعة والاحترام . فهي لا تقلل من شخصية الابن ، ولا تكسر إرادته ، أو تحطم شخصيته ، أو تلغي تفكيره . لكنها طاعة مبنية على ثقة الابن في أبيه (أو أمه) ، وفي حكمته ومحبته . فالجندي يطيع القائد بلا مناقشة لأنه يثق فيه ، وفي اتساع رؤيته للموقف ؛ إذ أنه يرى الميدان كله بينما لا يرى الجندي إلا جزءاً محدوداً منه .

(٢) نجد في الكتاب المقدس تنبيراً شديداً على العلاقة المتبادلة . فالأبناء يطيعون والديهم ، والآباء لا يغيظون أبناءهم بل يربونهم بتأديب الرب وإنذاره (أفسس ٦ : ٤) . كما يطلب الرسول بولس من الآباء ألا يضعوا على أبنائهم أحمالاً لا لزوم لها ، أو يطلبوا منهم كأبناء أشياء غير معقولة حتى لا يفشلوا (كولوسي ٣ : ٢١) .

ففي الكتاب المقدس نجد توازنًا بين العطاء والأخذ . فالأبناء يطيعون والآباء يحبون ولا يغيظون .

(٣) على الآباء والأبناء أن يبنوا جسور الثقة بينهم حتى تُصبح الطاعة أمراً عادياً . وبناء الثقة يستلزم إظهار المشاعر من كل طرف نحو الآخر ؛ فالآباء (والأمهات) كثيراً ما يعتقدون أن أولادهم لا يبادلونهم الحب . لذا يجب أن يُعبِّر الأبناء لوالديهم عن مشاعر الحب والتقدير لما يبذلونه من جهد وتضحية في سبيل تربيتهم ، كما يجب على الآباء أن يُبدوا مشاعر الحب والتقبل لأبنائهم . فأحيانًا يظن الابن أن والديه لا يحبانه بدرجة

كافية ، أو يحبانه فقط عندما يكون ناجحًا أو مُطيعًا ... إلخ . ويتبادر هذا الشك لذهن الأبناء بصفة خاصة إذا حدث توتر ولو مؤقت في العلاقات ، أو عندما لا يستجيب الآباء لطلبات الأبناء لسبب أو لآخر .

وإحدى طرق إظهار مشاعر الحب للآباء هي الخدمة العملية في البيت . فالفتاة التي تساعد والدتها في أعمال البيت إن رأتها مُتعبة تُظهر مشاعرها بصورة عملية ، والابن الذي يقبل القيام ببعض مسئوليات البيت مثل : شراء لوازم للبيت ، أو القيام ببعض المأموريات بدلاً من والده مثل القيام بدفع فاتورة الكهرباء أو التليفون يُظهر مشاعره عمليًا .

الحرية :

وهي قيمة هامة يسعى الإنسان دائمًا لتحقيقها ، لكنها في مرحلة المراهقة تعتبر من أهم القيم التي يكافح المراهق لتحقيقها .

لكن ما المقصود بالحرية في هذه المرحلة ؟ هل يُقصد بها التحرر من كل سُلطة ، والتصرف عكس ما يريده الآباء ؟

من سمات هذه المرحلة – كما سنشرح في فصل تالٍ – أن المراهق يثور على السُلطة ، وعلى كل ما يُمثل السُلطة في نظره مثل : الأب ، الأم ، الأخ الأكبر ، المعلم ، القائد ... إلخ . لكن يجب ألا ننسى أنه رغم رفضه للسُلطة فهو في حاجة إليها بمعناها الصحيح . ولنضرب مثلا لذلك : فقائد السيارة يريد أن ينطلق بأقصى سرعة ليصل إلى عمله في الميعاد ، ويتضايق من إشارة المرور الحمراء التي تُلزمه بالوقوف . لكنه يعرف أن هذه الإشارة ضرورية للمحافظة على حياته فبدونها تتصادم السيارات ويتوقف المرور عندما تتداخل كل وسائل المواصلات معًا ، إذ يريد كل شخص السير أولا . فمع ما يبدو من تعارض بين حرية الانطلاق وسُلطة جندي المرور فإن هذه السُلطة لازمة للحفاظ على حياته . صحيح أن الشاب (أو الشابة) يُريد أن يُجرِّب كل شيء ، وأن يتعلم بنفسه ، ويخطيء أحيانًا فيتعلم من أخطائه . لكن هناك أشياء خطيرة يجب ألا يجربها ، بل ويبتعد عنها كُليَّةً . ودور الآباء هنا هو توجيه المراهقين إلى ما هو نافع وما

هو خطير .

فالطفل مثلاً يُريد أن يُمسك بكل شيء يراه ، وعندما يرى المصباح الكهربائي ينبهر به ، ويبكي لكي تسمح له أمه بأن يُمسكه . لكن الأم تمنعه خوفًا عليه من احتراق أصابعه . ويستمر الطفل في الصراخ ، ويصمم على لمس المصباح ، وبعض الأمهات يتركنه لكي يلمسه . وعندما يشعر الطفل بحرارة المصباح يصيح باكيًا ، ويرد يده بسرعة . لكنه لن ينسى هذه الخبرة التي اكتسبها بنفسه ، وكلما رأى مصباحًا بعد ذلك يضم يده إلى صدره خوفًا من الاحتراق .

لكن تصور أن طفلاً رأى ثعبانًا حيًا في الحديقة ، فأُعجب بلونه وبحركته وأراد أن يلمسه .. ماذا تفعل الأم في هذه الحالة ؟ لا شك أنها ستمنعه بكل قوتها ولن تتركه يتعلم عن طريق الخطأ في هذا الموقف لأنه خطأ قاتل .

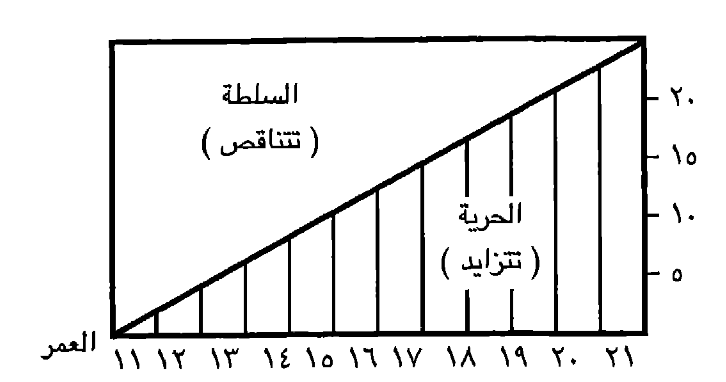
فعندما تحمي سُلطة الوالدين فتاة من التخبُّط والتجربة والخطأ فإنها تحميها من خطر شديد ، لذلك لا يُسمح لها بالتجربة هنا . قد تبكي الفتاة وتظن أن أمها تتعنت معها ، لكنها في الحقيقة تحميها . والسُلطة التي تحرم الفتى من محاولة تجربة استخدام المخدرات تحميه من خطأ قاتل لا يقل خطرًا عن سم الثعبان .

فالسُلطة الحقيقية – وليست الغاشمة – تخدم الحرية الحقيقية ، وتحمي من الانقياد الأعمى للدوافع .

ويجب أن يعرف المراهق أن كل حرية يقابلها مسئولية .

فأنا حر أن أحرِّك يدي وأمدها في أي اتجاه طالما لا أضايق الآخرين أو أتدخل في حريتهم . وأنا حر أن أنفق مصروفي بشرط ألا أستخدمه فيما يضر . كما أنني سأكون مسئولا عن كيفية التصرف بعد نفاد المصروف ، وحتى نهاية الشهر .

الحرية التي يُسمح بها تدريجيًا للمراهق تُفيد في نضجه واستقلاله . والشكل التالي يوضح تزايد الحرية واتخاذ القرار مع تناقص السلطة كلما تقدَّم سن المراهق .



من حق المراهق أن يرفض التسلُّط الغاشم الخانق ، الذي لا يُراعي رأيه ، ولا يحاول إقناعه ، أو لا يحترم ميوله . فمثل هذه السلطة المطلقة هدفها تأكيد ذات الوالدين أو المعلمين ، وإخضاع المراهق ، مع أن المفروض أن تكون سُلطة الآباء في خدمة الحرية . فالإنسان الحر فعلاً هو الذي يستطيع توجيه سلوكه حتى يتفق مع القيم التي يؤمن بها .

ويجب أن يعرف الآباء أن المراهق ليس عجينة نضعها في القالب الذي نريده ونشكِّلها كما نشاء ، بل هو كائن بشري له عقل وإرادة والإقناع في هذه المرحلة أهم وأقوى من الأوامر .

كما يحتاج الآباء أن يدربوا أبناءهم تدريجيًا - كما أوضحنا - على الاستقلال واتخاذ القرار . فمثلا يُدرِّب الأب ابنه على طريقة صرف مصروفه بأسلوب حكيم مع ادخار جزء منه كلما أمكن ذلك ، أو يدربه على تنظيم الوقت وتقسيمه بين العمل والراحة والرياضة والنوم ... إلخ . وفي جميع الأحوال لابد أن يُفسح الآباء صدورهم لسماع رأي الابن .

أما بالنسبة للمراهق فإن رفض أي نصيحة أو توجيه أو أمر بحجة رفض السلطة ، والاندفاع لإشباع النزوات خطأ أيضًا . صحيح أن المراهق لم يعد طفلاً ، لكنه لم يصبح راشدًا بعد ؛ فهو في حاجة إلى السُلطة الحقيقية لنمو شخصيته .

وهنا يحتاج كل من المراهق والأب (أو الأم أو القائد) لفهم الآخر . فيجب أن يتفهَّم المراهق أن والديه بشر يعانون في حياتهم من أمور كثيرة . فهم يعانون من تقدُّم السن ، وبالتالي ظهور بعض المتاعب الصحية أحيانًا . كما يقاسون من المطالب المادية المتزايدة من الأسرة ، ومن متاعب العمل والجهد المبذول فيه . وغالبًا ما تتزامن مرحلة مراهقة الابن (أو الابنة) مع مرحلة منتصف العمر للوالدين ، وهي مرحلة لها متاعبها الفسيولوجية والنفسية .

كل هذه العوامل ، وربما غيرها تجعل الآباء أضيق صدرًا – عما كانوا عليه – للمناقشة والحوار ؛ لذا يلجأون إلى الأوامر (أنا قلت كده ...) .

فإذا قدَّر المراهق ظروف والديه فهذه خطوة هامة نحو النضج . وتقدير ظروف الوالدين يستلزم من المراهق أن يكون واقعيًا بقدر الإمكان ؛ فلا يصم أُذنيه عن سماع آرائهم ، ولا يسير وفق أهوائه بل يتعلم كيف يدرس الموقف ويقدِّر الفائدة والضرر في كل حالة .

والمراهق الذي يعرف ظروف والديه المادية ، ويدرك أن إخوته لهم مطالب مثله أيضًا لا يُغالي في مطالبه من زيادة المصروف ، أو شراء ملابس مرتفعة الثمن ، أو كماليات لا لزوم لها .

ولعل الآباء يحتاجون إلى كلمة تقدير ؛ فكلمات التقدير للأب أو الأم أو المبادرة بمساعدتهما في بعض مهامهما تؤثر تأثيرًا بالغًا في حياتهما . فأكثر ما يُضايق الآباء شعورهم بحقوقهم على أبنائهم الذين يعتقدون أحيانًا أن ما يقوم به الآباء هو واجب مفروض عليهم .

قيم أخرى :

أما القيم الأخرى السائدة في هذه المرحلة فهي :

الصداقة ، الأمانة ، الإنجاز ، الصدق ، التديُّن ، الجمال ، المرح ، المظهر الحسن ، الشعبية ، الشهرة ... إلخ .

وتكتسب بعض هذه القيم أهمية خاصة في بداية المرحلة (المراهقة

المبكرة) ، بينما تتناقص أهمية بعضها في مرحلة المراهقة المتأخرة .

ففى المراهقة المبكرة تكون أهم القيم هي : الاستقلال (وقد شرحناه) ، الصداقة ، الاعتراف الاجتماعي ، الإنجاز (التحصيل الدراسي والتفوق) .

وفي المراهقة المتأخرة تقل أهمية بعض القيم مثل : التسامح ، والطاعة . بينما تزيد أهمية قيم أخرى مثل : الشجاعة ، السعادة ، العلاقة بالآخرين ، الشعبية ، الشهرة .

كما تختلف أهمية القيم بحسب نوع الجنس . فالإناث أكثر اهتمامًا بالقيم الدينية والأخلاقية (مثل الأمانة ، والصدق) ، وقيمة الجمال ، وقيمة الصداقة ، وقيمة العلاقة بالآخرين (ربما نتيجة الدافع الجنسي) . أما الذكور فهم أكثر ميلاً للقوة الجسمانية ، والتقدير الاجتماعي والقيادة وربما أيضًا بدافع لفت الأنظار إليهم .

ومشكلة المراهق هي تصوره أحيانًا أنه مادام لم يعد طفلاً فلابد أن يتخلى عن القيم التي تعلّمها في طفولته . فيظن أن قيمًا مثل الصدق ، والأمانة ، واحترام الوالدين والمعلمين أصبحت لا تناسبه كبالغ . بل ويكتسب من المجتمع بعض القيم السلبية مثل : الخداع ، و « الفهلوة » (أي الغاية تبرر الوسيلة) ، « وما تغلب به العب به » ؛ مما يُشكِّل منه شخصية مختلفة بل وشريرة أحيانًا .

هذا أمر في غاية الخطورة ، ويحتاج لتوجيه حكيم من الأسرة والكنيسة والمدرسة ؛ حتى يدرك المراهق أن المهم ليس المكسب أو اللذَّة الوقتية بل إن العبرة بالنتائج النهائية ، وأن الانفلات ليس حرية بل هو أعدى أعداء الحرية . فالحرية الحقيقية هي التمييز الواعي بين الإطار والمضمون ، فيتحرر المراهق من الإطار الطفولي لكنه يعطي للقيمة طابعًا راشدًا . وهكذا تصبح القيم وسيلة للاختيار الحر المسئول وليست وليدة الضغط التربوي .





سمات مميزة لمرحلة المراهقة

من أهم أسباب الصراع بين الأبناء ووالديهم في مرحلة المراهقة عدم فهم الوالدين لطبيعة هذه المرحلة ، وما يصاحبها من سلوكيات . بل وعدم فهم المراهق (والمراهقة) لذاته ؛ فهو يسأل نفسه عادة : " مَنْ أنا ؟ " ويجد الإجابة على هذا السؤال عمليًا من أسلوب تجاوب الجماعات التي يتعامل معها في هذه المرحلة : الأسرة ، وزملاء الدراسة ، والأصدقاء ... إلخ . فهذه الجماعات إما أن تُعامله على أنه طفل أو شخص بالغ .

فالجماعات – ولا سيما الأسرة – تساعد المراهق على اكتشاف ذاته ، ووضع الخطوط العريضة لشخصيته التي سيتصرف على ضوئها .

ويرى « إيركسون » (أحد علماء النفس) أن المراهق – في هذه الحالة – إما أن يُطور شخصيته ، أو يحدث عنده ارتباك واختلال في الأدوار . أي إما أن يُدرك مَنْ هو أو يختلط عليه الأمر باقي حياته ، بل إن البعض قد يلجأ إلى الانتحار هروبًا من هذا الارتباك .

وتكوين الهويَّة يتضمن عادة عدة تساؤلات عن أشياء في المجتمع ، وعن الأخلاق والإيمان . هذه الأسئلة تُشكل في كثير من الأحيان صعوبة شديدة أمام الوالدين لعدم تمكنهما من الإجابة عليها ، أو إقناع المراهق بالرد

المنطقي . بل إنها تمثل صعوبة للمراهق نفسه إذ لا يجد إجابات لأسئلة يعتبرها أساسية لفهم معنى الحياة . ففي هذه المرحلة تهتز الأسس القديمة ، وقد تنهار ؛ لكي تتكون أسس جديدة سليمة .

إذا أردنا أن نصف مرحلة المراهقة وصفًا موجزًا نقول : إنها مرحلة تغيُّر مفاجيء وسريع تبدأ من نقطة البلوغ ، ويستمر هذا البركان حتى يهدأ تدريجيًا قرب نهاية المرحلة .

وأهم ما يُميِّز بداية هذه المرحلة هو بدء عمل الغدد الجنسية في البنت والولد ، بينما يتوقف عمل غدد أخرى هي :

(١) الغُدة الصنوبرية Pineal . وهي غدة صغيرة أعلى المخ طولها حوالي « سنتيمتر » واحد ، وعرضها نصف « سنتيمتر » . ومن أهم وظائفها تعطيل النشاط الجنسي حتى سن البلوغ ، ويتوقف عملها تماما بعد ذلك .

(٢) الغُدة التيموسية Thymus .. وهي عبارة عن فصين في وسط التجويف الصدري يضمران أيضًا عند البلوغ .

ويصاحب ذلك زيادة حجم الأعضاء التناسلية وظهور الشعر حولها .

ويختلف سن البلوغ من مجتمع لآخر ، كما يختلف اختلافًا بسيطًا من فرد لآخر . فيبدأ بلوغ البنت في مجتمعنا عند سن الثانية عشر تقريبًا ، وعلامة بدء البلوغ الدورة الشهرية . كما يبلغ الفتى عند سن الثالثة عشر تقريبًا وعلامته إفراز الغدد الجنسية ، وتستمر مرحلة المراهقة عادة حتى سن السابعة أو الثامنة عشر .

وهذا التغيُّر المفاجيء في إفرازات الغدد يؤثر على السلوك والتفكير ؛ مما يجعل المراهق يشعر بحالة من الاضطراب وعدم الاتزان خصوصًا إذا لم يكن مُعدًا لهذا التغيُّر .

ويصاحب هذا النمو الجنسي الميل للجنس الآخر ، مع عدم معرفة كيفية التصرف ؛ فيعيش المراهق في عالمه الخاص من الأحلام والتصورات ،

وغالبًا ما يرتبط هذا بالاستنماء * وتزداد هذه الحالة شدة إذا لجأ المراهق للصور والأفلام الخليعة ليملأ بها فكره وخياله ، أو إن تبادل مع أصدقائه الكتب التافهة والنكات الجنسية البذيئة . ويلجأ بعض المنحرفين لإغراء المراهقين على مشاهدة أفلام « الڤيديو » المخصصة لهذا الغرض . ونتيجة للجهل بالمعلومات الجنسية قد يلجأ المراهق إلى ممارسات شاذة ، أو إلى تجريب خاطىء مما قد يؤثر على تفكيره ونفسيته .

وسنتناول فيما يلي بعض نواحي النمو المختلفة في حياة المراهق .

أولاً : النمو الجسمي

من أكثر المظاهر الملفتة للنظر في هذه المرحلة النمو السريع الذي يبدو بوضوح في زيادة العرض والطول . فلم تعد الملابس التي اعتادها الفتى (أو الفتاة) تناسبه ، بل يحتاج إلى تغييرها عدة مرات مع ازدياد الطول .

وعند بداية المرحلة تسبق البنت الولد الذي في نفس سنها في النموالجسمى طولا وعرضًا ، لكنهما يتساويان عند سن الرابعة عشر ثم يتفوق الفتى في الطول والوزن والقدرة العضلية .

ويصاحب هذا النمو السريع عدم تناسق حركات الأطراف والجزع ؛ مما يؤدي لكثير من المفارقات .. مثل تهكم الأهل والأصدقاء من سرعة النمو ، أو ضيق الأهل بسبب الحاجة إلى شراء ملابس جديدة كل فترة قصيرة .

كما أن عدم التناسق العضلي يؤدي إلى عدم التحكم عند السير ، فيصطدم المراهق بالأثاث مما يثير غضب والديه ، أو قد تسقط الأشياء من يديه فيكسر الأواني ؛ فيشعر المراهق بالخجل والضيق في كثير من الأحيان خصوصًا عندما يتهمه الأهل بالإهمال واللامبالاة .

وحدوث هذه التغيُّرات الجسمية يكون مصحوبًا بمزيج من الفرح

---

* الاستنماء : هو استثارة الشخص لنفسه جنسيًا ، واعتياد هذه الممارسة يطلق عليه « العادة السرية » ، وهي شائعة بين البنات والأولاد في سن المراهقة .

والخجل أحيانًا ؛ فالمراهق (أو المراهقة) يشعر بالفرح لأنه انتقل من الطفولة إلى البلوغ ، لكنه يشعر بالخجل من الطول السريع المثير لتهكم الآخرين منه (الولد طِول على غفلة) ؛ مما يجعله يسير منحنيًا قليلاً لإخفاء طوله .

كما تتغير نسب حجم تقاطيع الوجه ؛ إذ يزداد حجم الأنف ليصل إلى أقصاه رغم عدم نمو باقي أجزاء الوجه بنفس الدرجة .

ويظهر على الخدين والجبهة حَبْ الشباب ؛ مما يجعل الفتى – والفتاة خصوصًا – يقضي أوقاتًا طويلة أمام المرآة معتقدًا أن وجهه قد تشوَّه ، في الوقت الذي يسعى فيه أن يبدو وسيمًا لكي يلفت نظر الجنس الآخر إليه .

وإن كان الكبار ينظرون إلى حَبْ الشباب نظرة عادية ، إلا أن المراهق يشعر أنها مشكلة كبيرة تدعو للخجل والانطواء ، ويعزو إليها سبب انصراف الجنس الآخر عنه ، أو تفضيل شخص آخر عليه .

مظاهر خاصة بالفتيان :

يشعر الفتى أنه لم يعد طفلاً إذ صار طوله مقاربًا لطول أبيه ، بل قد يفوقه أحيانًا . فيلجأ لاستعراض عضلاته وقوته البدنية خصوصًا عند التنافس مع الزملاء ، أو محاولة لفت نظر الفتيات إليه . فيهتم بمظهره وملابسه ويمشي مشية خاصة ، كما يبدأ نمو الشعر في عدة مواضع من جسمه . وهو يتعجل نمو ذقنه وشاربه فيلجأ لاستخدام ماكينة الحلاقة حتى قبل ظهور الشعر ، وقد يلجأ لإطلاق شاربه أو إلى التدخين على اعتبار أنها من علامات الرجولة .

وعند البلوغ يحدث تغيُّر في الصوت ، إذ يميل للخشونة . لكنه يظل لفترة معينة مُتحشرجًا .. فيكون خشنًا تارة ورفيعًا تارة أخرى أثناء الحديث ؛ مما يثير ضحك الأسرة والزملاء في المدرسة ، وهذا يسبب حرجًا شديدًا للفتى .

ونظرًا لاتساع حجم المعدة في هذه المرحلة تزداد شهية المراهق للطعام بشكل يلفت نظر الأسرة . فبعد أن كان والداه يسترضيانه لكي

يأكل إذا بهما يشكوان مّن كمية الأكل التي يتناولها كل يوم .

ويلاحظ في هذه المرحلة أيضًا سرعة تعب المراهق ، وعدم قدرته على التحمل نتيجة التغيُّر في ضغط الدم ، وقد يصل التعب إلى حد الإعياء بل والإغماء أحيانًا .

مظاهر النمو عند الفتاة :

وإن كان جزء كبير مما ذكرناه سابقا ينطبق على الفتاة إلا أنها تتميز بصفات خاصة عند فترة المراهقة .

فهي تحس أنها قد أصبحت شابة يافعة .. خاصة وقد برز صدرها ، واستدار جسمها . وهي تحاول أن تثبت لأهلها وأصدقائها أنها لم تعد طفلة ؛ فتسعى للبس الحذاء ذى الكعب العالي ، واستخدام مساحيق التجميل بشكل مبالغ فيه أحيانًا ، وتحاول أن تلفت نظر الشباب بمشيتها وملابسها وجمالها .

إلا أنها في بداية المرحلة تشعر بالخجل أيضًا من طولها وبروز صدرها ؛ فتسير منحنية قليلاً ، وتضع حقيبة كتبها على صدرها عند ذهابها للمدرسة . وإذا لم تُعَد الفتاة إعدادًا خاصًا لاستقبال هذه المرحلة فإنها تُفاجأ بالدورة الشهرية ، وتظن أنها أُصيبت بسوء ، وتخشى الحديث عن ذلك مع والدتها أو أخواتها . هذا والفتاة أكثر ميلاً من الفتى للاستسلام للأحلام والأغاني والأفلام العاطفية .

ثانيًا : النمو العقلي

ذكاء الإنسان مرتبط بحجم المخ ؛ لذا يستمر تزايد ذكاء الفرد في مراحل الطفولة حتى يصل إلى المراهقة ، وهي المرحلة التي يصل فيها الفرد إلى قمة النمو العقلي .. كما يرى بياچيه * . وعند الثامنة عشر يتوقف نمو الذكاء تقريبًا ، وتظل نسبة الذكاء ثابته بعد ذلك .

* بياچيه عالم نفس سويسري ، وأحد الذين قدموا أبحاثا متعددة عن ذكاء الأطفال .

ومن الطريف أن الطفل لا يقدر أن يخفي أفكاره ؛ إذ يتصور أن مَنْ حوله من الأهل والأصدقاء يعرفون ما يخفيه من أسرار . لكن ما أن يصل إلى مرحلة المراهقة حتى يصبح قادراً على إخفاء بعض أفكاره ، كما أنه يصبح قادراً على فهم استجابات الآخرين ؛ فهو يفهم ما يقصدونه حتى إذا لم يذكروه صراحة . لكنه يكون غير قادر على فهم بعض الاستعارات والأساليب اللغوية مثل : « مَنْ بيته من زجاج لا يجب أن يضرب الناس بالحجارة » ؛ فهو يفهم المعنى المباشر فقط عند أوائل المرحلة .

في هذه المرحلة تبدأ المقدرة على التفكير المجرد – إن كان طبيعي الذكاء والاستيعاب – بعد أن كان يربط تفكيره في زمن الطفولة بالمحسوسات . فالطفل يُدرك العدد خمسة مثلا بالتمييز : خمسة أصابع ، خمس برتقالات ... إلخ . لكنه عندما ينتقل إلى مرحلة التفكير المجرد يُدرك الرموز بدون محسوسات ، وينشأ عن هذا القدرة على التفكير عامة . فيستطيع أن يقضي أوقاتًا طويلة يفكر في أهداف حياته المستقبلية ، وفي نوع العمل الذي يُريد أن يعمله ... إلخ . ويتبع ذلك نمو بعض القدرات العقلية الأخرى : كالاستدلال ، والنقد ، والفهم ، والتركيز ، والتذكُّر .

ويرتبط بالقدرة على التفكير المقدرة على اتخاذ القرار سواء كان قراره صائبًا أو خاطئًا . كما يستطيع المراهق أيضًا أن يُعبِّر عن نفسه بوضوح ؛ إذ أن قدرته علي استخدام اللغة بكفاءة تساعده في ذلك .

كما تظهر في هذه المرحلة القدرات الخاصة والاستعدادات والمواهب الشخصية مثل : الموسيقى والرسم والشعر ؛ إذ يتسع مجال خيال المراهق ويلجأ إلى هذه الفنون أو بعضها لإشباع خياله .

وهذه الفترة من أفضل الفترات لتكوين عادة القراءة ؛ إذ يُقبل المراهق عادة على قراءة الصحف والمجلات والقصص خاصة القصص البوليسية للشبان ، والرومانسية للبنات .

ويتصف التفكير في هذه المرحلة بالصبغة الفلسفية أحيانًا ؛ مما يدفع المراهق للبحث في أصول الأشياء ، وأسرار الحياة ، والظواهر الطبيعية . فهو يريد أن يعرف : مَنْ هو الله ؟ ولماذا خُلقَ الإنسان ؟ وماذا بعد

الموت ؟ ... إلخ .

كما أنه يميل للاستطلاع والاكتشاف وإجراء التجارب ، ويحب أخبار العلماء والرياضيين ، ويبحث في مجالات المعلومات العامة والسياسية .

ومن خصائص التفكير في هذه المرحلة أنه يميل للمثالية ؛ إذ يعتقد أنه يستطيع إيجاد حل لكل مشاكل العالم بسرعة وسهولة إن كان كل فرد في المجتمع يُفكر مثله .

ويتوقع المراهق أن يتقبل والداه والمحيطون به قيمه بلا مناقشة ، وأن يفعلوا ما يظنه الأفضل . ولكن عندما يتخطى هذه الفترة (أي عند منتصف المرحلة) يصبح أكثر واقعية في تفكيره ؛ فقد يتبنى المثاليات لكنه يُدرك أن الأمور ليست بالبساطة التي كان يظنها ، وأن بعض مشكلات المجتمع ستبقى حتى إذا اعتنق أفراده نفس آرائه الشخصية ، وأن العالم لن يتغير في يوم وليلة ليصبح عالم سلام وحب وانسجام .

ثالثا : النمو الانفعالي

تتميز انفعالات المراهق بالتقلب السريع وعدم الثبات . ويظهر ذلك في الشعور بالغضب والخوف والغيرة ، وما يصاحب هذه الانفعالات من مظاهر عضوية مثل : اضطراب التنفس ، وزيادة ضربات القلب ، وإفراز العرق ، واصفرار الوجه . وهذه المظاهر ترجع إلى بعض الهرمونات مثل « الأدرينالين » الذي تفرزه الغدة فوق الكلوية (الكظرية) عند الغضب أو الخوف .

والفترة الأولى من المراهقة بصفة خاصة مرحلة انفعالات عنيفة . فنجد المراهق يثور لأتفه الأسباب ؛ فيحطم الأشياء ، ويصرخ ويرفس بقدمه ، ويُلقي بالأشياء على الأرض دون وعي . كما أنه في حالة السرور يشد على يديه ، أو يقف على قدم واحدة ، أو يقفز فرحا . ومرات يندفع وراء انفعالاته ، ولا يستطيع أن يضبطها حتى أنه قد يبكي ويضحك في نفس الوقت . ثم يعود ويتراجع ليلوم نفسه على ما بدر منه ، وينتقد نفسه

بشدة مما يؤدي إلى إحباطه إن لم يجد مَنْ يشجعه أو يخفف من توتره .
ونظرًا للتغيرات السريعة الجسمية والغددية والإدراكية فإنه يتأثر بشدة إن تعرض للنقد ، وهو يكره من ينقده خصوصًا إذا كان هذا النقد أمام الآخرين . والمراهق يشعر بالحرج الشديد عند مواجهة المجموعات كأن يُطلب منه الحديث أمام جماعة ، أو إلقاء خطاب ، أو قراءة قطعة شعر ، أو أن يعزف مقطوعة موسيقية ، أو يغني خصوصًا إذا كانت هذه الجماعة غريبة عليه .
كما أنه لا يستطيع إدراك الموقف الذي يوجد فيه ؛ فقد يوجد في اجتماع عام في الكنيسة مثلا ، أو في جنازة ثم يضحك فجأة لمنظر رآه ، أو لشيء تذكره . ثم يدرك حرج موقفه من نظرات الناس إليه فيلوم نفسه ، بل قد يبكي . وخوفه الدائم من تردد تصرفاته بين الطفولة وانطلاقاتها ، وبين المراهقة والتزامتها ، وكذلك خوفه من شذوذ تصرفاته عن السلوك المتعارف عليه بين الجماعة يؤدي به إلى الشك في انفعالاته وانفعالات الآخرين .
ومن مظاهر تردد انفعالات المراهق أنه يميل إلى المرح ، فيُسر بالوجود في مجالات المرح والمزاح ، كما يُسر بالاشتراك في الرحلات والحفلات . لكنه في أحيان كثيرة يميل للاكتئاب فلا يُفصِح عن انفعالاته ، بل ينطوي كاتمًا أحزانه وهمومه مبتعدًا عن أصدقائه . وهو يفضِّل العزلة في هذه الحالة ، ويقضي أوقاتًا طويلة هروبًا من الواقع ؛ مما يقلق أسرته خوفًا عليه من طول العزلة وعدم الحديث . لكن هذه العُزلة تُتيح له الجو المناسب ليحلم أحلام اليقظة ويحقق فيها ما لا يستطيع تحقيقه في الواقع ، كما قد يلجأ للاستمناء في عزلته .
والمراهق يُضفي على عزلته نوعًا من الغموض ؛ إذ يحاول الاحتفاظ بأسراره . فيلجأ - إذا أُتيحت له الفرصة - إلى غلق باب غرفته بالمفتاح ، كما يحرص على غلق أدراج مكتبه حتى إذا لم تكن تحتوي علي أي شيء . ويثور إذا اقتحم أحد خُلوته ، أو فتح أحد أدراجه ، أو قرأ أحد خطاباته ، أو استقبل مكالمة تليفونية خاصة به .

أسباب التقلبات الانفعالية :

(١) إن للتغيرات الجسمية المفاجئة التي ذكرناها في النمو الجسمي تأثيرها الكبير على التوتر الانفعالي ، والتغيرات الشديدة من النقيض للنقيض ؛ فضمور الغدة التيموسية (التي كانت تعمل في فترة الطفولة) ، ونشاط الغدد الصنوبرية والتناسلية عامل رئيسي في هذا التوتر .

(٢) نتيجة لتأثير الدافع الجنسي يندفع المراهق نحو الجنس الآخر ، لكنه يجد محاذير كثيرة تُحد من اختلاطه بالجنس الآخر كالتقاليد الاجتماعية ، والقيم الأسرية والدينية . خصوصًا إذا نشأ في مجتمع مُتزمت ؛ مما يجعله في حيرة من أمره ، ولا يعرف كيف يتصرف .

(٣) إن الجو العائلي يؤثر بشدة علي انفعالات المراهق . فهو يتأثر بما يراه من خلافات ومشاجرات في البيت ، وخصوصًا إذا تكررت ؛ إذ أنه يحس بعدم الأمان مما يؤثر على شخصيته ويعوق اتزانه الانفعالي ونموه السوي .

(٤) إحساس المراهق بوجود عجز مالي كبير في الأسرة سواء لأن دخل الأسرة أقل من احتياجاتها ، أو لأنها أُصيبت بكارثة تسببت في خسارة كبيرة يفقده الإحساس بالأمن ويجعله متوترًا قلقًا خائفًا .

(٥) القيود الأسرية والمدرسية التي تعوق حريته واستقلاله تجعله يحس أنه مازال يُعامَل كطفل ؛ مما يؤدي إلى تمرده وثورته .

بعض مظاهر الانفعال :

(١) **شدة الحساسية** : فالمراهق سريع البكاء - وإن كان يخجل من ذلك ، كما أنه يتأثر جدًا بالنقد .

(٢) **الشعور بالكآبة** : فهو ينطوي على ذاته ليهرب من نقد الناس ومن مواجهتم ، فيلجأ للعزلة .

(٣) **التمرد** : فيرفض سيطرة والديه ، كما يرفض النصح ، أو أي لون من ألوان العطف والتدليل ؛ إذ يحس أنهم يعاملونه كطفل . كما يتمرد على المدرسة بالتذمر من المناهج المدرسية ، ومن معاملة المعلمين له ،

وأحيانًا يتذمر على المجتمع ونظمه وأساليبه .

ومن الخطورة أن يتحول التمرد إلى انحرافات مثل : الخروج على التقاليد ، والانطلاق نحو الإباحية ، أو الاتجاه إلى كراهية من يخالفه في الرأي أو الدين ، أو الاتجاه إلى الإلحاد تمردًا حتى على سُلطة الدين .

(٤) **التردد** : فهو متهور يقوم بعمل ثم يتراجع عنه ويندم .

(٥) **الغضب** : ويصاحبه مظاهر حركية باليدين والقدمين ، أو التفوه بألفاظ كالوعيد والشتائم ، أو مقاطعة أهل البيت . وفي بعض الحالات قد يترك البيت ويلجأ للأصدقاء حتى يجد فرصة للتعبير عن ذاته .

(٦) **الخوف** : وهو يعاني من عدة مصادر للخوف ؛ فهو يعاني من مخاوف في المدرسة .. مثل : الخوف من الامتحانات ، أو من التعرض لسخرية زملائه ، أو معلميه . كما يعاني من مخاوف صحية ؛ فهو يخشى المرض والضعف ، كما يقلق خوفًا من صغر حجم أعضائه التناسلية ، وتقلق الفتاة من عدم تناسب حجم صدرها مع جسمها .

أيضًا يقلق المراهق على صحة والديه وإخوته إن شكا أحدهم من مرض ، وأول ما يخطر بباله الخوف من الموت . وهو يخشى بصفة خاصة وفاة أحد والديه . وإذ يفكر في المستقبل فهو يخاف من العجز الاقتصادي أو فقد العائل .

(٧) **الشعور بالذنب عند اقتراف أي خطأ** : يخاف المراهق بصفة خاصة من انكشاف دوافعه الجنسية ؛ إذ أن تفكيره في الجنس قد يقوده إلى اشتهاء المحارم (الخالات ، العمات ... إلخ) .

رابعًا : النمو الاجتماعي

يتأثر الإنسان في نموه الاجتماعي بالأفراد الذين يتعامل معهم ، وبالمجتمع الذي يحيا في إطاره ، وبالثقافة التي تسود أسرته ومدرسته ووطنه . فإذا تحدثنا عن مراحل تطور السلوك الاجتماعي عند المراهق فإننا نقسمها إلى ثلاث مراحل رئيسية .

عند الفتى :

(١) مرحلة التقليد (من ١٢ – ١٥ سنة) :

وفيها يُقلّد الفتى زملاءه ممَنْ يرى فيهم شجاعة أو زعامة . فهو ينقل إعجابه بشخصية أبيه إلى القائد أو الزعيم ، ويحاول أن يُقلّده . فإن كان هذا القائد صالحًا فإن المراهق يتأثر به وبأهدافه وأسلوبه في السلوك ، وإن كان متطرفًا أو هدّامًا ، فإنه يُقلّده دون تفكير غالبًا . وهذا ما يجعل مسئولية القيادة في مرحلة المراهقة مسئولية كبيرة جدًا لما لها من آثار خطيرة على نفسية الشاب وسلوكه . فالتطرف حتى في الممارسات الدينية يؤذي المراهق الذي يحتاج أن ينمو نموًا متوازنًا .

وكثيرًا ما يتخذ الفتى لنفسه نموذجًا يُقلّده كنجم سينمائي ، أو زعيم سياسي ، أو قائد عسكري ، أو بطل رياضي .

(٢) مرحلة الاعتزاز بالنفس (بعد سن ١٥) :

في هذه المرحلة يميل الفتى للمنافسة سواء في مجال العلم ، أو الرياضة ، أو الحب . وهو يسعى دائمًا للانتصار على زملائه خصوصًا في مجال العلاقات مع الجنس الآخر . وقد تتحول المنافسة في هذه المرحلة إلى صراع ، وسلوك عدواني . ويبدأ الصراع عادة بين الأصدقاء لجذب انتباه الجنس الآخر ، ويتطور لدرجة أن يتحول أصدق الأصدقاء إلى أعدى الأعداء .

وتتميز هذه الفترة أيضًا بتعصب المراهق لآرائه ومعتقداته ، حتى يأخذ التعصب شكلا عدوانيا أحيانًا .

ويشعر الفتى في هذه المرحلة بمسئولية نحو الجماعات التي ينتمي إليها ، خاصة نحو أسرته . فهو يُحس أنه مسئول عن الأسرة ، بالذات عند غياب والده . كما أنه يحاول تصحيح مسار إخوته حسب رأيه ومقاييسه . وأحيانًا يميل إلى التحكم في إخوته البنات ، فيحاول التحكم في خروجهن ، ودخولهن ، وملابسهن ، وزينتهن ، ويريد معرفة كل التفاصيل عن حياتهن الخاصة وأصدقائهن ... إلخ . كل ذلك لأنه يريد الاطمئنان على سمعتهن وسيرتهن .

كما أنه يميل للنقد رغبة في الإصلاح . فهو ينقد والديه في مظهرهما حتى لا يشعر بالخجل منهما . كما ينتقد طريقة تربيتهما لإخوته .

(٣) مرحلة الاتزان الاجتماعي (نهاية المرحلة) :

يتخفف المراهق من اندفاعه وتهوره ، ويتغلب على السلوك الصبياني وينتهي تقريباً تأثير الشلة عليه .

ويميل المراهق في هذه المرحلة لمساعدة الآخرين مادياً – إن أمكن – ومعنوياً بزيارة المحتاجين ، والعطف على المعاقين ... إلخ . كما ينشغل بموضوعات الظلم الاجتماعي ، وسوء توزيع الثروة ، ويثور على النظم الاقتصادية والسياسية والدينية التي لا تحقق العدالة الاجتماعية .

عند الفتاة :

(١) فترة ما قبل المراهقة وحتى أوائلها :

تمر الفتاة بمرحلة من الطاعة ، والحياء ، والحشمة ، والأخلاق الحميدة لإرضاء الوالدين .

(٢) مرحلة الاضطراب (من ١٣ – ١٥) :

وهي مرحلة اضطراب انفعالي وعاطفي ، إذ يُلاحظ على الفتاة المبالغة في الاستجابة للمُثيرات حتى الهادئ منها . فهي تضحك وتبكي لمثيرات تافهة ، كما أنها تُبالغ في العناية بمظهرها والتأنق في ملبسها وزينتها .

ويرتبط عدم الاستقرار العاطفي وتأرجح العواطف بالتواترات الناشئة عن الدورة الشهرية .

(٣) مرحلة التقليد (من ١٥ – ١٦) :

تحاول الفتاة تقليد الفتيان فتميل إلى ارتداء أزياء الشباب ، كما تُزج بنفسها في مغامرات جريئة ، ويلجأ عدد منهن للتدخين .

(٤) مرحلة اتزان (نهاية المرحلة) :

وفيها تتخلَّص الفتاة من الاندفاع والخيال .

عوامل مؤثرة على النمو الاجتماعي للمراهق :

لفـــهم هذه العـــوامل يجب إدراك أن المراهق يســـعى إلى التكيُّف الاجتماعي ، وقد ينجح في هذا أو يفشل . فإن فشل فهو يلجأ للانسحاب والإنطواء على ذاته ، ويكره الوجود مع الجماعات .

ويخشى المراهق في محاولته للتكيُّف مع الجماعة أن يشذ عنها ، فيتعرض للهزء والاحتقار ، أو الرفض . لذلك فهو يسعى دائمًا ليحوز على رضا الجماعة ، سواء كانت هذه الجماعة هي الشلة (جماعة الأصدقاء المقربين ، وقد تكون خمسة أفراد تقريبًا) ، أو زملاء الدراسة أو النادي .

فالمراهق ينساق غالبًا لرأي الجماعة ، ويحاول تجنب أي خلاف أو نزاع معها . فإذا قررت الجماعة الثورة على السلطة ، أو مهاجمة فكرة معينة فإنه يتأثر برأيها ، ويصعب عليه جداً اتخاذ قرار مخالف .

ولعل خضوعه للجماعة يقلل من إحساسه بالذنب لثورته على والديه ومعلِّميه . فهو يُحس أنه ليس وحده الثائر أو المتمرد ، ويلقي اللوم عندئذ على البالغين .

لذلك من المهم جدا أن تكون الشلة مماثلة في قيمها لقيم المراهق التي اكتسبها من أسرته .لا شك أن التربية السليمة للأبناء تجعلهم يختارون الأقران المناسبين . ولا يكفي أن يكون هؤلاء الأقران من اجتماع الشباب أو النادي ، بل يجب أن يكونوا جماعة مُنتقاة يختارهم المراهق لينسجم معهم دون أن يؤثروا على قيمه التي تربى عليها في أسرته .

في مرحلة التكيف يمر المراهق بخبرات جديدة في علاقته بالجنس الآخر . فبعد أن كانت علاقاته قبل المراهقة قاصرة على بني جنسه – لدرجة إنه كان لا يطيق مشاركة الجنس الآخر له في لعبه ، أو أنشطته المختلفة – نراه يتجه بعد البلوغ إلى محاولة جذب انتباه الجنس الآخر لتأكيد ذاته ، وذلك إما بالتفوق الدراسي ، أو الرياضي ، أو بارتداء الملابس الغريبة ، أو بالمباهاة بغرامياته وعلاقاته العاطفية .

وكثيراً ما يؤدي عدم الاستقرار العائلي إلى تأخير نمو المراهق نمواً سويًا . فالمراهق الذي يعيش في أسرة تعاني من الشجار المستمر بين

الوالدين يُحس بالقلق والخوف ، وبالتالي الخجل ، والرغبة في الابتعاد عن زملائه خصوصاً الذين يعرفون ما يجري بين أفراد أسرته .

كما أن الحرمان المالي ، وقلة ما مع المراهق من نقود يقلل من مكانته بين أصدقائه ؛ مما يجعله يهرب من كثير من الأنشطة التي تتطلب مبلغاً من المال مثل : الرحلات ، وبعض الهوايات التي تحتاج لمصاريف كرياضة التنس ، أو التصوير الفوتوغرافي . وقد يلجأ بعض المراهقين إلى السرقة من والديهم ، أو زملائهم لكي يسدوا احتياجهم ، وللظهور بالمظهر المناسب أمام أصدقائهم .

ومغالاة الأسرة في السيطرة على المراهق تعوق نشاطاته الاجتماعية . فهي تتدخل في خروجه ومواعيده ، وفي اختياره لأصدقائه وملابسه . وغالباً يؤدي هذا إلى التمرد على السلطة الأبوية ، أو الارتماء في أحضان الشلة التي تعطف عليه وقد تساعده على الهرب من البيت .

خامساً : الاتجاه الديني
الموقف من الدين - والشعور الديني

يهتم معظم الآباء والأمهات بتلقين أبنائهم وبناتهم الحقائق الدينية الأساسية في الطفولة . وعادة يتقبل الأطفال هذه الحقائق كمسلَّمات دون مناقشة ؛ فهم يثقون في والديهم ، وفي كل ما يقولونه . كما يتعلمون ممارسة الشعائر الدينية بالتقليد .

لكن ما أن يصل المراهق إلى بداية هذه المرحلة حتى يبدأ في التخفف من هذا الإيمان المطلق ، ويبدأ رحلة البحث عن الحقيقة . فيمر في مرحلة الشك فيما سبق أن تعلمه وتقبلَّه دون مناقشة . وتدور في ذهنه عدة أسئلة مثل : هل الله موجود ؟ وما برهان ذلك ؟ هل الدين صحيح ؟ ... إلخ .

وهذا الشك يقوده إلى أحد طريقين : إما الإيمان بالله ، أو الصراع العنيف ، والإنكار والرفض للحقائق الدينية .

ويجب ألا يقلق الأهل عندما يسألهم ابنهم (أو ابنتهم) أسئلة تنم عن

الشك . فبعض الآباء يظنون عندئذ أن الابن في طريقه للإلحاد والكُفر ، لكن الحقيقة أن هذه المرحلة تقود المراهق إلى اليقين والإيمان الراسخ ، وعلى الأهل أن يُجيبوا على هذه الأسئلة بقدر استطاعتهم ، وأن يقدِّموا لهم من الكتب ما يناسب سنهم ، ويُدعم إيمانهم .

في هذه المرحلة يتجه المراهق إلى تفسير ظواهر الكون في ضوء مفاهيمه الجديدة . فهو يُحب البحث في موضوع الحياة والموت ، ويهوى البحث فيما وراء الموت من حياة أخرى . كما يتساءل عن سبب الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والأمراض ، ولماذا يسمح الله بها ... إلخ .

ويتميز المراهق بالمثالية ، ويعتقد أن كل شيء يجب أن يكون مثاليًا فلا موت يختطف الأعزاء ، ولا مرض يُصيب الأقرباء ، ولا مصائب تأتي على البشر . ولأنه مثالي فهو يتوقع من والديه وأساتذته أو أقربائه كمال السلوك ، فيُفجع إن عرف أن أباه يكذب ، أو يخدع ، أو يغش ، أو لا يدفع ما عليه من ضرائب ... إلخ .

والمثالية عند المراهق ليس فيها حلول وسط ، فإما أن يكون الشيء أبيض أو أسود ، والقول إما أن يكون صدقًا أو كذبًا ، والسلوك إما أن يكون أمينًا أو غير أمين ، وهو لا يقبل تفسيرًا أو تعليلاً لكذب أو لعدم أمانة . كما أنه لا يقبل مبدأ التعددية في الآراء فلا يقبل الرأي وعكسه . إذ أنه ينحاز لرأي معين ويحكم بالخطأ على كل الآراء الأخرى المخالفة ، وينحاز لجماعة ويرى كل الجماعات الأخرى ضالة ومنحرفة .

والمراهق يحتقر صفات مثل : الرياء والمساومة ؛ لأنها تتعارض مع الوضوح الذي يُحبه ويقدِّره . كما يقدِّر الشجاعة ، والأمانة ، والثبات على الرأي . ولعل أهم ما يحتاجه المراهق في هذه المرحلة هو القدوة العملية ؛ حتى يرى تطبيقًا عمليًا للقيم والمبادئ التي تعلَّمها . فكم يتألم عندما يصطدم بالواقع ، فيرى من أحد والديه أو معلِّميه سلوكًا يناقض ما ينادي به . كما أنه يُصدم بشدة في قادة الكنيسة ورجال الدين إذا عرف عنهم ما يخدش الصورة المثالية التي رسمها لهم .





صراع المراهقة

بانتقال الإنسان من الطفولة إلى المراهقة يبدأ الصراع الشديد بين اعتماد الشخص على والديه ، وبين حاجته للاستقلال عنهما . وهي مشكلة يعاني منها الوالدان كما يعاني منها المراهق نفسه . فهي أشبه بعملية الولادة التي تشعر الأم بآلامها ، كما يصرخ الطفل لانفصاله عن مصدر حياته وغذائه ودفئه . فالمراهق يريد أن يقطع الحبل السُري الذي كان يربطه بوالديه ، حتى يستقل تمامًا . لكن الفارق بين الحالتين أن الطفل بعد ولادته يظل معتمداً على أمه فترة طويلة للحصول على غذائه ، أما المراهق فيريد أن ينفصل مرة واحدة ، ويكره أن يشعر أنه مازال معتمداً على أهله .

وقد شبَّه البعض الصراع في هذه المرحلة الانتقالية ، بخروج الكتكوت من البيضة ، وصراعه للتخلص من جسم البيضة ، أو خروج الفراشة من الشرنقة .

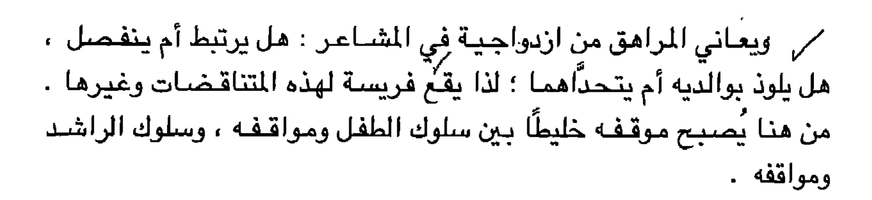
فالمراهقة هي انفصال عن جو العائلة الذي يجد فيه المراهق الحماية والأمن ؛ للدخول إلى عالم كبير لم يتعود على التعامل معه وحده . لذا فهو يحاول أن يواجه مشكلاته بنفسه ، ويتخذ قراراته بنفسه .

ولأن عملية الانفصال تتم فجأة فهي تُحدث مشكلات كثيرة في محيط العائلة ، ويراها الآباء من منظور الخروج عن المألوف ، أو الثورة على السلطة ، أو ضياع آداب وذوقيات التعامل . كما يراها الأبناء أنها الوقت المناسب للثورة بعد طول خضوع .

وهذه الثورة تبدو في أشد مظاهرها بين الفتيان أكثر مما تبدو بين الفتيات . فالفتاة لا تُعبِّر عن ثورتها عادة بالعنف ، أو ترك البيت بل تلجأ للانسحاب ، والبكاء ، تعبيرا عن ثورتها ورفضها لما يُفرض عليها .

مرحلة التناقض

يتميز الصراع من أجل الاستقلال بأنه صراع بين متناقضات ، وكأن المراهق يقف بين قطبين يجذبه كل منهما نحوه ، وهو يتمزق نتيجة الشد من الطرفين .



ويعاني المراهق من ازدواجية في المشاعر : هل يرتبط أم ينفصل ، هل يلوذ بوالديه أم يتحداهما ؛ لذا يقع فريسة لهذه المتناقضات وغيرها . من هنا يُصبح موقفه خليطًا بين سلوك الطفل ومواقفه ، وسلوك الراشد ومواقفه .

المتناقضات :

(١) يقع المراهق في حيرة شديدة بين **حبه لوالديه والثورة عليهما**. فعندما يثور المراهق على والديه يجدانه صورة مختلفة تماماً عما ألفاه من ابن مطيع وخاضع ، وحتى مع معرفتها بما يمر به المراهق فإنهما يتأثران ويتألمان لما يحدث .

لكن ما موقف المراهق ؟ إنه يعاني أيضاً من الألم والإحساس بالذنب . فلقد رسخ في ذهنه دائماً أن الآباء على حق ، وعندما يحدث الصدام والثورة يُحس المراهق أنه المسئول عما يحدث .

(٢) التناقض بين **الاعتمادية والاستقلال** . لقد اعتاد الابن (الابنة) الاعتماد كُليَّة على الوالدين في بدء حياته ، فهما يوفيان كل احتياجاته من طعام وملابس ... إلخ . وبعد ذهابه للمدرسة اعتاد الوالدان أن يقررا له قواعد السلوك ، ونوع المعتقدات التي يجب أن يعتنقها ، والقرارات التي يتخذها . لكنهما يفاجآن بأن الابن يثور على كل هذا ، ويريد أن يتخذ قراراته بنفسه ، وهما يخافان جداً عليه – لقلة خبرته بالحياة – من اتخاذ قرارات خطيرة ، مثلا :

* يُريد شاب أن يترك الدراسة ليتجه للعمل .
* يريد شاب آخر أن يرتبط بفتاة وهو على أعتاب مرحلة المراهقة .
* وتصيب الحيرة الوالدين كما تصيب المراهق الذي يحلُم بالاستقلال .

(٣) يريد المراهق **الخروج من ذاته الطفولية** ، ولكنه في نفس الوقت يُحس بأنه **لايزال محتاجا لمساندة والديه** وحمايتهم له . وهنا ينتاب الأهل شعور غامض بأن الابن (الابنة) خرج عن طوعهما ، ولم يعد ملكًا لهما كما كان في الطفولة . وهذا صحيح ؛ فالمراهق بدأ يُدرك أن له طريقه الخاص ، وأنه مُنجذب نحو المستقبل تاركًا ماضيه بعيداً عنه . ويخاف الآباء على أبنائهم من مخاطر المستقبل ؛ فيتمسكون أكثر بابنهم (أو ابنتهم) ، ويحاولان إيجاد الذرائع للمحافظة عليه ليكون امتداداً لوالديه ولأسلوبهما في المعيشة والتفكير . إنه شعور الإشفاق على أنفسهم من تلك الخبرة الأليمة .. خبرة خروج الابن عن طوعهما . والمشكلة هنا هي الحيرة التي يقع

فيها الآباء : تُرى هل يعاملان الابن كطفل أم كراشد ؟ هل يقيدان حريته باعتباره مازال قاصراً .. أم يطلقان له الحرية ؟ ويحتدم الصراع بينهما ، مما يُمزق طرفين تجمعهما أقوى الروابط . فهذا الصراع ليس صراعاً عادياً لكنه صراع مصيري يترك آثاراً بعيدة المدى .

(٤) يتصارع في نفس المراهق دافعان : **دافع لتقليد الآخرين** ممَنْ يعتبرهم قدوة في النجاح أو الشهرة أو الجمال ... إلخ ، **ودافع آخر لتحديد هويتّه الذاتية** . فالمراهق يبحث عن مفهوم ثابت قوي لذاته ووضعه بالنسبة للآخرين ، أو مكانته بينهم خاصة بين زملائه من نفس العمر ؛ فهو يهتم بصورته التي يراها الآخرون .

وفي نفس الوقت فهو يميل لتقليد الناجحين والمشهورين ليكتسب مكانة كبيرة مثلهم . ولا شك أن الاقتداء ببعض النماذج الناجحة شيء رائع ومفيد ، لكن الخوف من محاولة الاقتداء ببعض النماذج الفاسدة كالمحتالين والمجرمين ؛ فالمراهق يهوى البطولة وقد يرى في هذه النماذج بطولة .

أما إذا اتخذ من معلِّم أو قائد قدوة له فعلى هذا القائد أن يساعده على تحديد هويتّه الخاصة تدريجياً ، وذلك بإبراز نواحي القوة والتميُّز في شخصيته .

(٥) التناقض بين **المثالية وحب الذات** . فالمراهق يسعى لكي يكون كريماً نبيلاً يفضل الآخرين على نفسه ، ويفعل المستحيل في سبيل ذلك بخدمة الآخرين ، ومساعدة حتى مَنْ لا يستحق المساعدة من زملائه ومعارفه .

إلا أنه في نفس الوقت يُحس بنوع من التمركز حول ذاته . فهو يريد أن يكون ظاهراً ، ويتفوق على زملائه . وهذا ما يسبب له بعض المشاكل في حياته حتى يصل إلى الحل التوفيقي المناسب لخدمة الآخرين ، ولكن ليس على حساب نفسه .

(٦) يشعر المراهق **بدوافع قاهرة يريد مقاومتها** ويحاول قمعها ، لكنه في نفس الوقت يُحبها ويسلك مدفوعاً بها .

ولعل الدافع الجنسي هو أبرز الدوافع في هذه المرحلة ، فالمراهق يُحس

بقوة هذا الدافع ويُحبه ؛ لأنه يُمثل البلوغ والنضج بالنسبه له ، كما يُمثل أساسًا للجاذبية في نظر الجنس الآخر . لكنه في نفس الوقت يخشى ويخجل من الاندفاع ، ويُريد السيطرة عليه ، فينجح أحيانًا ويفشل أحيانًا كثيرة .

(٧) يحتاج أن يشعر **باحترام الناس** له باعتباره راشدًا ، لكنه في نفس الوقت **يحتاج إلى التمتع بالمرح** واللهو والعبث كطفل . فليس غريبًا ما نراه في المرحلة الثانوية من لهو قد يصل إلى حد التهريج والتخريب أحيانًا . لكن المراهق يُحس بالضيق والخجل إن وصف والده أو معلموه هذا العمل بأنه عبث أطفال ؛ فهو يريد أن يبدو محترمًا ، وأحيانًا يتكلف في كلامه وملابسه ليبدو كذلك .

(٨) يحتاج المراهق أن يشعر أنه **مسئول وقائد** لمجموعة ، وفي نفس الوقت **يحتاج للانضباط** وإلى أن يكون تابعًا . فهو يُريد أن يُثبت ذاته كبالغ يستطيع تحمل المسئولية ، لكنه سريعًا ما يضيق بها . كما يُريد أن يتخذ القرارات بنفسه ، لكنه يحتاج إلى من يُساعده ويُرشده دون أن يشعر أنه لايزال طفلاً . والمراهق يحترم المعلِّم الحازم الذي يضبط النظام في الفصل أكثر من الذي يترك للتلاميذ الحبل على الغارب .

(٩) هناك تناقض بين حاجة المراهق **للحرية** وحاجته **للالتزام** فهو مازال يحتاج لمن يُشعره بالالتزام والانضباط . فالابن يحتاج إلى الأب الذي يُوجهه ويُرشده ، كما تحتاج الفتاة للأم التي تُحاسبها أحيانًا .

وعندما يخطيء المراهق فإنه كثيرًا ما يُلقي باللوم على والديه اللَّذين لم يحاسباه .

(١٠) التناقض بين **قيم الشلة والقيم الدينية والأخلاقية** التي تعلَّمها في البيت والمدرسة والكنيسة . فهو يُريد إرضاء مجموعة الأصدقاء الذين يطلبون منه أن يجاريهم في سلوكهم ، وهو يحب الانتماء للشلة ، وأن يبدو واحدًا منهم . لكنه في نفس الوقت يُحس بالألم والشعور بالذنب إذا فعل ما يناقض مبادئه وقيمه .

مجالات الصراع بين المراهق والأهل

لا شك أن مجالات الصراع تختلف من زمن لآخر ، فمشكلات الأمس تختلف عن مشكلات اليوم . بالأمس كان المطلوب من المراهق أن يقف عند دخول والده ، وأن يُسارع إلى تقبيل يده ، وألا ينطق عندما يتكلم الأب ، وغير مسموح له بالمرة أن يُدخن في حضوره .

أما اليوم فقد اختلفت المشكلات ؛ فالعالم المتغير يُضعف التقاليد ، ويُغيّر القيم ويوسع الهوة بين الأجيال . وأصبحت المشكلة الرئيسية هي مشكلة الحرية الفكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

كما تختلف مجالات الصراع من أسرة لأخرى ؛ فالأسرة المتزمتة تجعل المراهق يثور على هذا التزمت نحو التحرر . والأسرة الفقيرة يكون الصراع فيها ماديًا حول الملبس ، والمظهر ، والمصروف . لكن الأسرة الغنية يكون الصراع حول الاسراف ، والاندفاع نحو إشباع الشهوات .

أما الطبقة المتوسطة فيتركز الصراع فيها حول رغبة المراهق الظهور بمظهر يفوق مستوى الأسرة ، وحول نوع الملابس ، وشكلها ، وطولها ، وشكل شعر الرأس ، ومشكلة التأخير ليلاً . ويشكو المراهق من عدم وجود مَنْ يفهمه في البيت ، ويقول : " هل من طريقة تجعل أبي وأمي يفهمانني ؟ " والحقيقة أن هناك مسافة كبيرة بين طريقة تفكير وسلوك الآباء وطريقة تفكير وسلوك الأبناء ، وعلى أحد الطرفين أو كليهما محاولة تقريب المسافة .

وأول طريقة لعبور هذه الهوة أن يتفهَّم الأهل الحقائق التي ذكرناها عن التناقضات التي يعاني منها المراهق . فإذا عرفوا هذه الحقائق ، وأدركوا أن هذه الصراعات جزء من سمات مرحلة المراهقة فلا شك أن ذلك يخفف من مشاعر الألم والإحساس بالذنب . فلا يبدو الآباء في نظر الأبناء مُخطئين دائمًا مهما فعلوا أو قدَّموا ، ولا يبقى الأبناء على عدائهم الدائم تجاههم .

كيفية اجتياز هذا الصراع

(١) من جانب الابن (الابنة) :

أفضل ما يحل هذه المعادلة الصعبة هو شعور الابن (الابنة) أنه محبوب بالرغم من ... (وضع هنا أي شيء) . فبعض الأبناء تتركز في أذهانهم فكرة أن الأهل يحبونهم إن كانوا مُطيعين ، ناجحين . أما إذا ارتكب الابن خطأ ما فيظن أن هذا يؤثر على محبة والديه له . والحقيقة عكس ذلك تمامًا فالابن يظل محبوبًا دائمًا بالرغم من أي شيء (انظر مَثَل الابن الضال في إنجيل لوقا الأصحاح الخامس عشر لتعرف مقدار حب الأب للابن الذي ثار عليه ، وترك البيت وضيّع ماله) .

فإن نجح الأهل في إقناع الابن وتأكيد محبتهم له بالرغم من كل شيء ، فستهدأ حدة الصراع . إن علاقات الصداقة والحب تعزز عند المراهق مفهومه الإيجابي عن نفسه ، وإحساسه بأنه محبوب يساعد على نمو شخصيته .

ونقول للابن (الابنة) كلمة في أذنه : " إن كنت ممَنْ يعانون من عدم تفهم أهلك لك فلا داعي للقلق ؛ فهناك كثيرون مثلك يشعرون بنفس شعورك . وحالتك لها حل .. فأنت غالبًا لا تفهم والديك أيضًا ، وأفضل ما يجب أن تعمله هو أن تتقبل والديك ، وتهتم بهما ، وتعبر لهما عن قيمتهما عندك ، فلا تخجل من أن تعبر عن حبك لأمك أو لأبيك ، وأن تعتذر لهما إذا أخطأت . "

(٢) من جانب الوالدين :

أرجو أن يتفهم الوالدان أن الصراع في هذه المرحلة ليس حتميًا ، ويمكن أن يُحل بسهولة ، بل ويمكن تجنبه . فالعلاقة السليمة بين الوالدين وأبنائهم تجعل المراهق يعبر إلى مرحلة النضج في يُسر وسهولة . فمن المهم أن يتخذ الآباء موقفًا نحو أبنائهم يتسم بالحب ، والصبر ، والتعاطف ، والاهتمام ، والإيجابية ، مع وضع حدود وضوابط معقولة على سلوكهم .


أبويا ده ...
راسه ناشفة قوي
يا باشا.



شكوى الأبناء من الوالدين

لعل الصرخة المشتركة للشباب من الجنسين في هذه المرحلة هي : " بابا .. ماما .. اتركاني أتخذ قراراتي ، وأختار ما أشاء ؛ فلم أعد صغيراً . إني أختنق من كثرة نصائحكما ، واهتمامكما المقيد لحريتي . متى تُدركان أني لم أعد صغيراً ؟ "

ولعل الشكوى العامة التي نسمعها من المراهقين هي : " والداي لا يفهمانني ، ويعاملانني كما لو كنت لا أزال صغيراً . " وهذه الشكوى تتضمن اتهامًا للوالدين بقصور في الفهم ، أو عدم القدرة على التكيُّف مع الوضع الجديد للابن أو الابنة ، أو على الأقل أن الوالدين ينتميان إلى جيل سابق عتيق ونمط قديم في التفكير .

وتلعب وسائل الاتصال السريعة من تليفون ، وإذاعة ، وكمبيوتر ، ومجلات دوراً هامًا في توسيع الهوة بين فكر الشباب وفكر الوالدين . إذ يتغير نمط تفكير الشباب ، وطموحاتهم ، وموسيقاهم ، وملابسهم بسرعة هائلة ؛ مما يُصيب الأهل بالذعر خوفًا على أبنائهم من الانحراف . ويضع كثير من الآباء أبناءهم تحت الوصاية بأوامر مشددة : " افعل هذا ، ولا تفعل ذلك . " وفي نفس الوقت يرى الأبناء أن والديهم متخلفون عن رَكْب

الحضارة ، يعيشون بفكر الماضي وتقاليده ، ولا يرغبون في التطور . فيميل المراهق لنقد والديه ، وطريقة تربيتهم وسلوكهم ، بل ويمتد النقد لمظهرهم ، وملابسهم ، وطريقة قص شعرهم . فيتهكمون من كل ما يبدو قديما لا يتمشَّى مع الأنماط العصرية .

سنحاول هنا توضيح بعض نقاط الخلاف بين الأبناء والاباء من وجهة نظر الأبناء :

(١) أبي وأمي يتدخلان في كل أموري الشخصية ، وفي كل قراراتي ، واختياراتي ؛ بدعوى قلة خبرتي ، واستنادًا إلى المثل المعروف « أكبر منك بيوم يعرف أكتر منك بسنة » . ومع احترامي الكامل لوالديَّ ، ومحبتي لهما وتقديري لخبرتهما إلا أن كل هذا لا يمنع من أن أكتسب خبرتي بنفسي ؛ حتى أتدرب على اتخاذ القرارات وحدي ، وأشعر بحريتي في حياتي .

أيضًا ما معنى رغبة أبي وأمي في معرفة كل أسراري ؟ فهما يريدان أن يفتحا خطاباتي ، ويستمعا إلى مكالماتي التليفونية ، ويحاصراني بالأسئلة عن أصدقائي وصديقاتي .

إنهما يريدان مني أن أطلب الإذن عند رغبتي في استخدام التليفون ، وطبعًا يرتبط الإذن بأسئلة معروفة ، واستجواب ثابت : مَنْ الذي تريد أن تُكلِّمه ؟ ولماذا ؟ وهل هذا ضروري ؟ لقد تكلمت عدة مرات اليوم ! إنك تطيل الحديث في التليفون وهذا يُكلِّفنا كثيرًا ... إلخ . وإذا تلقيت مكالمة فالأسئلة تلاحقني : مَنْ ؟ ولماذا ؟ لقد حدَّثك مرتين اليوم ؟ ولماذا لا تؤجل الحديث حتى تلتقيا ؟ ولماذا تخفض صوتك وأنت تتحدث ؟ ولماذا تنقل التليفون إلى حجرتك ؟

أما اختيار أصدقائي فيخضع لرقابة أيضًا . فهذا ولد تافه ، وذلك صديق يضيِّع وقتك ، وهذا صديق وصولي ونفعي ، وذاك صديق ليس من مستواك ... إلخ . وقد يكونان على حق أحيانًا ، لكنهما يطلبان مني مقاطعة أحد أصدقائي فورًا وبدون سبب .

أما اختيار ملابسي فكثيرًا ما يؤدي إلى معارك كلامية ؛ فهما يريدانني

أن ألبس ما يعجبهما لا ما يعجبني . وهل يمكن أن ألبس ما يختارانه لي ، وأبدو أمام أصدقائي كالببغاء الملون ، أو أبدو متخلفًا ؟ فهما يصرّان على اختيار الملابس والأحذية « المتينة » بغض النظر عن شكلها ولونها ، حتى لا تبلى سريعًا .

كما أن هناك مشكلة أخرى هامة هي طريقة تنظيم وقتي ؛ فوالدي يتوقعان مني أن أُذاكر وأدرس لمدة أربع وعشرين ساعة يوميًا ، دون أن أخرج أو أتريّض ، أو أقابل أحدًا ، أو أشاهد برنامجًا في « التليفزيون » . وبالتالي فهما لا يريدانني أن أمارس أي هواية أثناء الدراسة لأنها تُضيّع وقتي . بل ويقرران لي ما أذاكره ، وما يجب أن أركز عليه ، والدروس الخاصة التي أحتاجها أو لا أحتاجها .

أما الذهاب للكنيسة أو اجتماع الشباب فممنوع أثناء الدراسة ، وإن سمحوا به فيكون الخروج بالساعة والعودة محددة . وهما يتوقعان مني أن أحضر الاجتماع ثم أجري عائدًا دون أن أقف مع أصدقائي ، أو أسلم عليهم . هل تصدق أن يحدث هذا لشخص في مثل عمري ؟ وحتى إذا أمكن تنفيذ رغباتهما فإني سأبدو في نظر نفسي ونظر أصدقائي طفلاً صغيراً قاصراً ، وأتعرض لسخرية قاسية .

(٢) أنا أعاني من السلطوية . فوالدي يُريدان أن أتلقى الأوامر دون مناقشة ؛ فليس من حقي أن أقول « لماذا » بدعوى أني لا أعرف مصلحة نفسي ، وأنه ليس من الأدب أن أناقشهما . أنا لست طفلاً ؛ فأنا أريد أن أقتنع حتى أفعل ما يُريدانه عن اقتناع وليس عن اضطرار .

وإن سُمح لي أحيانًا بالمناقشة فلا أجد عندهما أسبابًا مقنعة ، بل هي أوامر ؛ وقد يقدمان أعذارًا واهية . وحتى لو شرحت لهما وجهة نظري في الأمر فهما لا يريدان الاعتراف بالخطأ ، أو التراجع عن الأمر ؛ ظنًّا منهما أن هذا يقلل من قيمتهما ، أو أن هذا دليل ضعفهما .

(٣) هذا يأتي بي إلى مفهوم الحرية في هذه المرحلة . فأنا أريد أن أستمتع بمساحة معقولة من الحرية . نعم قد أخطيء ، وأحتاج في هذه الحالة إلى توجيه وإرشاد حتى أتعلم . فوضعي يشبه شخصًا يريد أن

يتعلم السباحة فينزل إلى البحر بحيث لا يتعدى مسافة معينة ، كما يقف المدرب على الشاطيء ليتدخل عند اللزوم . لكن لا مانع أن ينجح هذا الشخص مرة ويفشل مرة أخرى حتى يُجيد السباحة .

ما مدى حريتي في البيت وفي المجتمع ؟ ليتنا نتفق على مساحة محددة أمارس فيها مسئولياتي .

كم من مرة أقارن بين أبي وآباء زملائي فأرى أبي قاسيًا متعنتًا .. مهما كان منطقه في الحفاظ على حياتي ، ومستقبلي ، وسمعتي . لكم أتمنى لو كان لي أب متفاهم ، أناقشه ويناقشني .

قد أكون مخطئا في المقارنة ، وقد يكون لآباء زملائي أخطاء كثيرة لا أعرفها لأنها غير ظاهرة . لكن كنت أتمنى أن يكون أبي نموذجًا للأب المثالي ، فأفتخر به أمام زملائي . إني أعترف أنه يحبني جداً ، كما أعترف أني أحبه ، وأخاف عليه ، ولا أريده أبداً أن يكون أقل من أي أب آخر .

(٤) هناك مشكلة أخرى هي مشكلة مصروفي اليومي أو الشهري ؛ فأنا آخذ مبلغًا صغيراً . وعندما أناقش والدي يقول لي : " احمد ربنا ؛ فأنا في مثل سنك كنت أحصل على قرش واحد فقط " ، وكأنه لا يعرف أسعار هذه الأيام .

أنا لا أريد أن أبدو مفلسًا أمام أصدقائي . فصديقي الذي يدعوني لشرب زجاجة « كوكاكولا » ، أو لتناول « ساندويتش » معه يتوقع مني المعاملة بالمثل . لكن كيف والمصروف ضئيل ؟

أنا أعرف العبء الواقع على دخل والدي ، كما أعرف أنه لا يريد أن يعطيني مصروفًا كبيراً حتى لا أنحرف لكنى أريد حل هذه المعادلة الصعبة بما يرضي كل الأطراف والأغرب من ذلك أن والديَّ يريدان مني تقريراً عن أوجه الصرف ؛ فإذا ذكرت لهما ما صرفته يقومان بلومي لأني بذَّرت هنا أو هناك .

(٥) يتوقع مني والداي أن أكون الأول في دراستي دائمًا . وهما لا يعترفان بأي سبب يمنعني من الحصول على المركز الأول ، بل ويقارنان بيني وبين أحد إخوتي أو جيراني أو أصدقائي . إنهما لا يعرفان أن لكل إنسان

قدرات معينة ، وأن المطلوب استخدام هذه القدرات بأقصى ما يمكن . لكن ماذا يحدث إن توقّع كل أب أن يكون ابنه الأول ؟ أين الثاني والعاشر والأخير ... ؟

والحوار دائمًا يكون هكذا :

- أنا أصرف عليك ولا أبخل بشيء .
- أنا ألبي كل طلباتك .
- أنا أشتري لك أي كتاب تطلبه .
- ماذا ينقصك ؟
- هل أنت أقل من فلان أو فلانة ؟

فماذا أقول لأبي عندئذ ؟

(٦) أنا أكره في والديّ بعض الأمور ، لكني لا أستطيع أن أبوح بها إليهما ؛ لئلا يتهماني بسوء الأدب :

أ - التوبيخ المستمر على كل صغيرة وكبيرة ، وعدم ملاحظتهما لأي شيء حسن أو صالح أعمله . فأنا لا أتوقع منهما دائمًا إلا التوبيخ .

ب - الاستبداد المتطرف . فارتكاب خطأ بسيط يُسبّب مشاكل كثيرة ؛ مثلاً قد أفقد قلمًا في المدرسة ، أو أكسر كوبًا ، فأفاجأ بسيل من الصفات والاتهامات .

ج - نوع العقاب الذي يوقعانه عليّ في حالة الخطأ . فلم أعد صغيرًا حتى يضربني أبي أو أمي ، وإن رفضت هذا أُتهم بسوء الأدب أو عدم الاحترام لوالديّ .

وهناك عدة وسائل يعاقباني بها مثل : منع المصروف أحيانًا ، المقاطعة وعدم التحدث معي ، منعي من الخروج أو الذهاب للكنيسة ، منعي من استخدام التليفون ... إلخ .

ولعل أسوأ أنواع العقاب ، وأشدّها على نفسي هو ذلك العقاب الذي يوقّع عليّ أمام أصدقائي فأبدو في نظرهم طفلاً صغيرًا تافهًا وبلا شخصية .

د - فرض الرأي بدون تفسير ، وبالتالي اللاعقلانية : " أنا قلت كده

وبس " ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

هـ - الشك والارتياب : إذ أشعر أني محاصَر بأسئلة ونظرات كلها شك فيما أقول أو أفعل . مثلا :

- أين ذهبت اليوم ؟
- ذهبت لزيارة صديق .
- لماذا لا تقول الصدق ؟
- هذا هو الصدق .
- لا إنك لم تذهب . هل أتصل بصديقك لأسأله ؟

وتصوروا معي إن حدث هذا .. ماذا يكون موقفي أمام صديقي ؟

هذه المشكلة أشد ما تكون مع البنات . فنتيجة حرص الوالدين الشديد على ابنتهما ، ونتيجة لما يسمعانه ويعرفانه من مشكلات ؛ يشكان في كل كلمة وكل سلوك . فإن لبست الفتاة ملابس أنيقة يشكان فيها ، وإن تجمَّلت ببعض الزينة ، أو وضعت عطرًا فهذا يثير ريبتهم . ناهيك عن رأيهم فيها إذا تأخرت عن موعدها .

و - اللامبالاة والإهمال : نعم أنا أريد الحرية لكن ليس لدرجة عدم المبالاة ، أو إهمالي نهائيًا . فأنا أريد من والديَّ أن يُظهرا اهتمامًا بي ، وبمظهري ، وبمستقبلي ، وبتقدمي الدراسي .

ز - أريد أن أشعر دائمًا بحب والديَّ . فأحيانًا يظنان لأني كبرت فأنا لا أحتاج لمن يُربت على كتفي ، أو يحتضني مشجعًا . خصوصًا عندما أتعرض لمشكلة ، أو أفشل ؛ فهذا الحضن الدافيء يُعطيني الاطمئنان أني مازلت محبوبًا رغم فشلي أو خطأي ، كما يحفزني للنجاح وإصلاح الأخطاء .

(٧) أحيانًا يتوقع مني والدايَّ أشياء أكثر مما أستطيع القيام بها . فأنا مُطالَب مثلا بأن أؤدي بعض الواجبات الاجتماعية التي لا أطيقها .. مثل : تهنئة الأقارب بالخطبة ، والزواج ، وبالمولود ، وأعياد الميلاد . نعم أنا أحب أن أَحضر أعياد ميلاد أصدقائي ، لكني لا أحب أن أوجد وسط جماعة من كبار السن لا أستطيع التفاهم معهم .

كما يُطلب مني المجاملة في الجنازات ، والذهاب للعزاء في ليلة الوفاة ، أو الذهاب للمدافن ... إلخ .

كل هذه الأمور فوق طاقتي ، وإذا حاولت الاعتذار عنها يتهمني والدي بأني طفل أو خجول أو مُقصر ، وأني لا أريد مجاملة أقارب والدي أو والدتي . كما أني مُطالَب بمرافقة والديَّ في أسفارهم سواء للمجاملة ، أو المصيف . لكني أريد أن أكون مع أصدقائي ، وأفضِّل حضور مؤتمر للشباب عن التصييف مع الأسرة ؛ حيث أظل حبيسًا للتعليمات والمحظورات .

(٨) إني أُقدِّر محبة والديَّ لي ، لكني أتضايق من الحرص الزائد عليَّ . فالخوف من الحوادث يجعلهما يمنعاني من الاشتراك في رحلات مع المدرسة أو الكنيسة ، كما لا يسمحان لي بركوب دراجة أو سيارة .

ثم إنهما يخافان عليَّ من الفشل الدراسي ؛ فيبالغان في الاهتمام بي دراسيًا . أو يخافان عليَّ من المرض ؛ فلا يسمحان لي بتناول أي شيء خارج البيت . « فالساندويتش » قد يكون مُلوثًا ، والفاكهة غير مغسولة ، والمثلجات تجلب الأمراض . كما لا يسمحان لي بخلع « الچاكت » لئلا أصاب بالبرد ، وفي الشتاء لابد أن ألبس أكثر من سُترة أو لُباس من الصوف حتى لا أتعرض « للإنفلونزا » .

(٩) في بعض البيوت يعامل الآباء أبناءهم بنوع من التحيُّز . فيعاملان الولد بطريقة تختلف عن معاملة البنت بدعوى الخوف على الابنة والحرص عليها . فيُسمح للولد بالخروج في أي وقت ، وبالتأخير خارج البيت ، أما البنت فتجد قيودًا كثيرة . وأحيانًا يحدث العكس ؛ إذ يُظهرون عطفًا وحنانًا على البنت أكثر من الأولاد ، فيشترون لها ملابس غالية ، وحُليًّا ثمينة ؛ لأنها بنت ولابد أن تظهر أمام الناس جميلة جذابة ؛ مما يثير حسد الأولاد .

وما يحز في نفس المراهق أحيانًا تمييز ابن آخر عليه ؛ إما لأنه أكثر تفوقًا ، أو أهدأ طبعًا ، أو أجمل شكلاً ... إلخ .

والتحيُّز والتمييز بين الأبناء مشكلة كبيرة تؤثر عليهم ، وإن كان الآباء

ينكرونها دائمًا ، ويحاولون إيجاد الأعذار لها أحيانًا . وهل ننسى تأثير تفضيل رفقة زوجة أبينا إسحق ليعقوب على أخيه التوأم عيسو ، وأثر ذلك على علاقة الأخين ، وعلى نفسية عيسو ؟

(١٠) يُحيرني في والديَّ عدم ثبات المعاملة . فمرة ينتقدان سلوكًا معينًا ، ومرة أخرى يتسامحان فيه . مما يجعلني لا أعرف بالتحديد ما يسرهما وما يضايقهما .

(١١) النقد الزائد والتشدُّد من الوالدين يضع ضغطًا شديدًا عليَّ ، حتى أصاب بالتردد ، وأشعر أن كل ما أفعله خطأ ؛ مما يُضعف ثقتي بنفسي .

(١٢) مرات أحس بغياب القدوة . فوالداي يعلِّمانني مبادىء وقيمًا عظيمة ، لكنهما لا يسلكان بحسبها . فهما يعلِّمانني عدم الكذب مثلا ، لكني أراهما أحيانًا لا يقولان الحقيقة . أو يعلِّمني أبي الاعتماد على الله لتسديد احتياجاتنا المادية ، بينما أجده يجعل الربح بأي وسيلة هدفه في الحياة ، ولو على حساب المبادىء .

أحتاج يا أبي ويا أمي إلى القدوة . لا تبالغا في القيم ، بل علِّماني ما أستطيع تطبيقه فعلاً ، لأني أراكما تعملانه . فالقدوة أفضل مرات كثيرة من النصائح التي أشعر أنها فوق قدراتي وقدراتكما .

مشكلات أخرى :

في أحد البحوث التي أجريت على مجموعة من الطلبة المراهقين جاء على رأس المشكلات التي يشكو منها الشباب عدم إنصات الوالدين لهم . وليست العلة هى عدم قدرة الشباب على التعبير ، لكن يرجع السبب إلى عدم وجود فرصة للتفاهم ، أو لصعوبة الموضوع الذي يريدون مناقشته مع آبائهم .

وهذا يستدعي أن ينظم الآباء وقتهم على نحوٍ يكفل ويتيح للأبناء فرصة منتظمة للحوار . وهكذا يجد الأبناء في والديهم أصدقاء يقدمون لهم النصح والمشورة .

تبقى مشكلتان هامتان وهما :

أولاً : البيت المنقسم الذي يعيش فيه المراهق ويرى الخلافات المستمرة بين الأب والأم ؛ مما يجعله ينحاز إلى أحد الطرفين أحياناً ، أو يشعر بالخجل الشديد خوفاً من أن يعرف أصدقاؤه شيئاً عن هذه الخلافات . ومن ثمَّ يعيش حياة من القلق والكراهية لأحد الوالدين ، أو كليهما . والبعض قد يترك البيت نتيجة لهذه الانقسامات .

ثانياً : البيت الذي تكون فيه الأم هى الشخصية المسيطرة ؛ فتحرم الأبناء من التوحد مع شخصية الأب ، والاقتداء به في هذه المرحلة الهامة من حياتهم . مما يؤدي إلى اهتزاز شخصياتهم ، وعدم فهمهم المعنى الصحيح للأسرة السليمة . وقد وُجد أن عدداً من أبناء مثل هذه الأسر ينحرفون إلى الشذوذ الجنسي لما يرونه من اختلال الأدوار .

مشكلات خاصة تشكو منها الفتيات

إن كان الفتى يشكو من التسلط وعدم تمتعه بالحرية الكافية ، فإن الفتاة تعاني جداً من هذه المشكلة . فالأسرة الشرقية عموماً تخاف على البنت ؛ مما يدفعها إلى الحَجْر على حريتها في أمور كثيرة ، فتكثر الممنوعات بالنسبة لها .

* فلا يُسمح لها بالخروج وحدها ، بل لابد أن تصحب معها والدها أو والدتها أو أحد إخوتها الذكور .. خصوصاً إن كانت تريد الذهاب للنادي ، أو لزيارة صديقة . أما عندما يحل المساء فالخروج ممنوع بتاتاً .

* النشاط الرياضي غير مرغوب فيه بالنسبة للبنت ، وعليها أن تكتفي بتعلُّم الأعمال المنزلية أو القراءة .

* الاستحمام في البحر أو في حمام السباحة غير مرغوب فيه أيضاً عند كثير من الأسر .

كل هذه الممنوعات سببها الخوف من كلام الناس . وهو منطق لا يُقنع الفتاة أبداً ؛ فهي ترى أن مَنْ يخضع لكلام الناس لن يعمل شيئاً .

وهناك مشكلة أخرى تؤثر في نفسية الفتاة هي : اختلاف المعاملة بين الولد والبنت بإعطاء السيطرة للولد على البنت حتى لو كان أصغر منها . هذا يجعلها تكره جنسها ، وتتولد عندها كراهية لسيطرة الرجل ؛ مما يؤثر على حياتها فيما بعد .

* وقد تقول الفتاة إن ما يحيرني في معاملة أهلي لي عدم وجود معايير ثابتة تجعلني أعرف ما يريدونه مني . فإني أعاني من عدم السماح لي بالتأخُّر خارج المنزل قليلاً في المساء ، لكني أجدهم يتغاضون عن تأخيري في بعض الحالات . وأنا لا أعرف السبب ، متى يكون التأخير مسموحاً به ومتى يكون ممنوعاً .

أيضاً عندما أريد أن أتزين لمناسبة خاصة كحضور حفل يعارضونني بدعوى أني مازلت صغيرة ، لكن في مرات أخرى نتوقع زيارة أسرة ما لمنزلنا فإذا بأمي تطلب مني أن أهتم بزينتي بشكل خاص ، ومرات تشرف

هي بنفسها على ذلك زيادة في الإتقان .

* أمي تريد أن أحكي لها كل شيء ، وأن أصارحها بكل رأي . وأنا أتمنى ذلك ؛ لأني محتاجة لمنْ يسمعني ويرشدني . لكن ما أن أصارحها بشيء حتى أجدها تثور في وجهي ، وتهدد بمنعي من الخروج أو تبليغ أبي ، فأندم على مصارحتي لها .

الخلاصة :

(١) بصفة عامة نجد أن الوالدين يحتلون أهمية خاصة عند المراهق - كما ثبت من بعض الأبحاث - مهما بدا أنهم يعارضونهم أو يثورون في وجههم أحيانًا .

(٢) كما نستنتج مما سبق أن المراهقين يعتبرون والديهم متشددين أو متطرفين - من وجهة نظرهم ، إلا أن الوالدين يسلكون على هذا النحو في محاولة منهم لحماية أبنائهم من مخاطر يرونها أكثر خطورة مما يراها الأبناء .





شكوى الآباء من الأبناء

هل يمكن أن يتصور أي ابن (أو ابنة) أن أهله لا يحبونه ؟

يقول بعض الآباء : " لأننا نخاف على أبنائنا ، ونريد أن يكونوا أفضل الناس فإنهم يتهموننا باتهامات مختلفة . فهم يقولون عنا إننا قُساة ، غير متفاهمين ، نقيِّد حريتهم حتى نخنقهم ، ولا نترك لهم فرصة للتعبير عن أنفسهم . "

ولا يستطيع أحد أن يُنكر أن الوالدين يحبون أبناءهم كأنفسهم بل وأكثر ، ويضحون في سبيلهم بكل ما في وسعهم ، بل بحياتهم أحيانًا .

كما لا يستطيع أحد أن يتصور أن الابن لا يحب والديه ، وإن كان يُبدي غير ذلك بالكلام أحيانًا ، وبالانفعال أحيانًا أخرى ، وبالصمت أو الخروج من البيت مرات . لكن ما أن يُحس أن مكروهًا سيُصيب أحد والديه أو كليهما إلا ويسارع لنجدتهما .

صحيح أن محبة الوالدين أقوى كثيرًا لأنها المحبة الناضجة ، المدافعة ، الحامية ، المضحية ، الغافرة وهذه طبيعة الأمومة والأبوة كما خلقها الله .

وكثير من الوالدين يرون في أبنائهم امتداداً لحياتهم . ويفرح الأب جداً عندما يقول الناس عن ابنه إنه صورة طبق الأصل منه .

لكن ما يعتبره الآباء حُبًا يراه الأبناء قيداً في سبيل استقلالهم . والنزعة للاستقلال ليست دليلاً على كراهية الآباء بل هي اتجاه طبيعي في مرحلة المراهقة ، فهي خطوة على طريق النمو والنضج . فليطمئن الآباء لأن مرحلة الثورة فترة مؤقتة سرعان ما يحل مكانها حب وتقدير لهم .

وحب الوالدين يختلط أحيانًا برغبة في التملك ! فالأم التي تحب ابنها جداً تغار من أي فتاة تميل إليه لئلا تأخذه منها وهذا أحد أسباب الصراع بين الحماة وزوجة الابن .

ماذا يقول الآباء والأمهات ؟

نحن في حيرة من أمر ابننا (ابنتنا) المراهق . . هل هو على حق ؟ وهل كل الأبناء يتصرفون بهذا الشكل ، أم أن ابننا غير طبيعي ويختلف عن الباقين في مثل سنه ؟

كان ابننا وديعًا ، مطيعًا ، متفوقًا في دراسته ، بل كان نموذجًا يُحتذى به . وفجأة انعكس كل شيء فهو إما ثائر لا يعجبه شيء ، أو صامت لا يُكلمنا ويريد أن يجلس في غرفته وحيداً ، حتى أننا نخاف عليه من أن يصاب بمرض نفسي .

ونحن نسأل أنفسنا تُرى هل كنًّا هكذا عندما بلغنا مرحلة المراهقة ؟ إننا لا نتذكر ، بل ما نذكره عكس ذلك .

فقد كان الواحد منا لا يجرؤ أن يرفع صوته أمام أبيه ؛ فإن دخل الأب البيت لزم الجميع الهدوء حتى يستريح من عمله ، وإن طلب شيئًا فهو أمر ، وإن أصدر أمراً فلا مناقشة .

لقد كانت هناك قيمة هامة هي احترام الكبير ، وأهل الريف منا كانوا يُقبِّلون أيدي آبائهم صباحًا ومساء .

يقولون إن علماء النفس أثبتوا أن هذا النوع من التربية ضار بشخصية الابن ، لكن نحن الآباء والأمهات نرى خلاف ذلك ؛ فقد تربينا

بهذا الأسلوب ، وها نحن رجال ونساء ناجحون نتصف بالأدب والأخلاق .

لقد كنا نخضع لرقابة شديدة من آبائنا : فما أن يدخل الواحد منا البيت حتى يقوم الأب بفتح حقيبة كتبه ، والبحث في الكراسات عن الواجبات والدرجات . والويل كل الويل للمقصِّر ، أو لمن حصل على درجة الرسوب . فلمَّا قيل لنا إن هذا أسلوب قديم أعطينا أولادنا حرية مُطلقة ، وها هي النتيجة : الابن يُجادل أباه وأمه بأسلوب غير مناسب ، ويعتقد أنه أكثر علماً وأكثر تحضراً وثقافة منهما .

لقد أصبحنا في حيرة شديدة .. ما هو الصواب وما هو الخطأ ؛ فالأبناء يريدون أن يلبسوا « على مزاجهم » ، وأن يخرجوا ويدخلوا كيفما شاءوا . وإن تدخّلنا لكي نُبدي رأيًا ، قالوا لنا : " أنتم من جيل قديم ، وقد تغيَّر الزمن ، وتغيَّرت القيم والمعايير . " هل صحيح أن احترام الكبير صار « موضة » قديمة ؟! وما آخرة التدليل والتغافل عن الأخطاء ؟

لقد كدنا نفقد السلطة المعنوية على أبنائنا ، ولم يعد كلامنا مسموعاً بل يفعل كل ابن ما يراه .

بعض المشكلات :

هذه بعض المشكلات التي يعبرّ عنها الآباء بخصوص أبنائهم :

(١) أنا أشعر أن ابني يتحداني ؛ فإذا أمرته بعمل شيء فإنه يرفض ، بل ويسعى لعمل عكسه ، وينظر إليَّ نظرة كلها تحدٍّ . هل أعاقبه هل أضربه ؟ هل أسكت وأتغاضى عن كرامتي كأب ؟ وعندما أنبهه للخطأ فيكرره وكأنه يتعمد ذلك .

(٢) ابني يُريد أن يقوم بدوري دون تقدير لوجودي ؛ فهو يتحكم في إخوته – خصوصاً البنات – حتى ولو كُنَّ أكبر منه سناً . فيأمرهن بارتداء ملابس معينة ، ويطلب منهن تقريراً مُفصلاً عند عودتهن .. مَنْ قابلن ، ومع مَنْ تحدثن . ولا يسمح لهن بالرد على التليفون ... إلخ . لقد أفهمته عدة مرات أن هذا هو دوري مادمت موجوداً ، لكنه مُصمم على القيام بهذا الدور بل ويعتدي على إخوته بالضرب أحياناً .

(٣) هل وصول ابني وابنتي لمرحلة المراهقة معناه أنهم كبروا وأصبحوا ناضجين ، وبالتالي فقد انتهت مهمتي كأب وصار الابن مسئولا عن نفسه ؟

(٤) ابني يُصادق أحيانًا مَنْ هم أكبر منه سنًا ، وبعض الفاشلين في دراستهم ، وكم أخشى عليه من الانحراف . إننا نقرأ كل يوم عن حوادث الإدمان والسرقة ، وقد حاولت مرارًا أن أنبهه لذلك لكنه يطلب مني عدم التدخل في اختيار أصدقائه .

(٥) ابني يترك دراسته ويقضي الساعات سواء أمام « التليفزيون » أو في الحديث بالتليفون . فهو يريد أن يتابع كل المسلسلات ، ويشاهد كل الأفلام ، ومباريات الكرة . وقد تعبت من توجيهه ومطالبته بالالتزام حتى يخصص وقتًا للدراسة ، ووقتًا للراحة . أما التليفون فهو يقضي الساعات لا الدقائق في كل مكالمة بدعوى أنه يتبادل المعلومات الدراسية مع زميل أو زميلة .

(٦) تنتابني أفكار متضاربة بشأن مصروف ابني . فأنا أريد أن أُعطيه كل ما أستطيع من مصروف لكن في حدود إمكانياتي ، لأني أريد أن أراه أسعد إنسان . لكنه لا يقنع أبدًا ، وأجده غير مقدر لإمكاناتي . إن أراد شراء ملابس فلا بد أن تكون مستوردة ، وإن خرج للنزهة فلابد أن يصرف على نفسه ويدفع لأصدقائه .

كيف أُعرِّف ابني أنني لست بخيلاً ، لكن عليَّ التزامات البيت ، والصرف على أخوته ، بحيث لا يكون مستواهم أقل منه ؟

(٧) ابني يذهب لاجتماع الشباب يوم الخميس من كل أسبوع ، وأنا لا أمانع في هذا ، بل بالعكس أفرح لارتباطه بالكنيسة وبأصدقاء مناسبين . لكن المشكلة أنه لا يعرف حدودًا للوقت ؛ فالاجتماع يستغرق ساعتين لكنه يقضي أربع أو خمس ساعات ، وأكثر من ذلك يرتبط بلجان خدمة أخرى وسط الأسبوع ، وعندما أناقشه في ذلك يقول لي : " ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس ! "

وابنتي أيضًا تقضي وقتًا طويلاً في هذا الاجتماع غير عابئة

بدراستها ، بل تترك أمها مريضة أحيانًا لتسرع إلى الاجتماع كما أنها تريد فستانًا جديدًا كل خميس لأن أصدقاءها بالاجتماع رأوا فستانها مرة قبل ذلك .

(٨) ابني يُقنعني بوجود صداقة قوية مع فتاة في الاجتماع ، وأنها صداقة بريئة جدًا ، وأنا أُصدِّقه سواء عن اقتناع أو غير ذلك . لكن ماذا عن التليفونات الطويلة ، واللقاءات ، وتبادل الكتب والمذكرات ، وفرص الصلاة الطويلة معًا ، والزيارات ؟

(٩) ابني يرى أن دوري الرئيسي في البيت هو توفير مُتطلبات الأسرة واحتياجاته هو بصفة خاصة . فإن طلب مني مبلغًا كبيرًا واعتذرت لعدم مقدرتي ، قال لي جملته المعتادة : " لماذا ولدتموني مادمتم غير قادرين أن تنفقوا عليَّ ؟ "

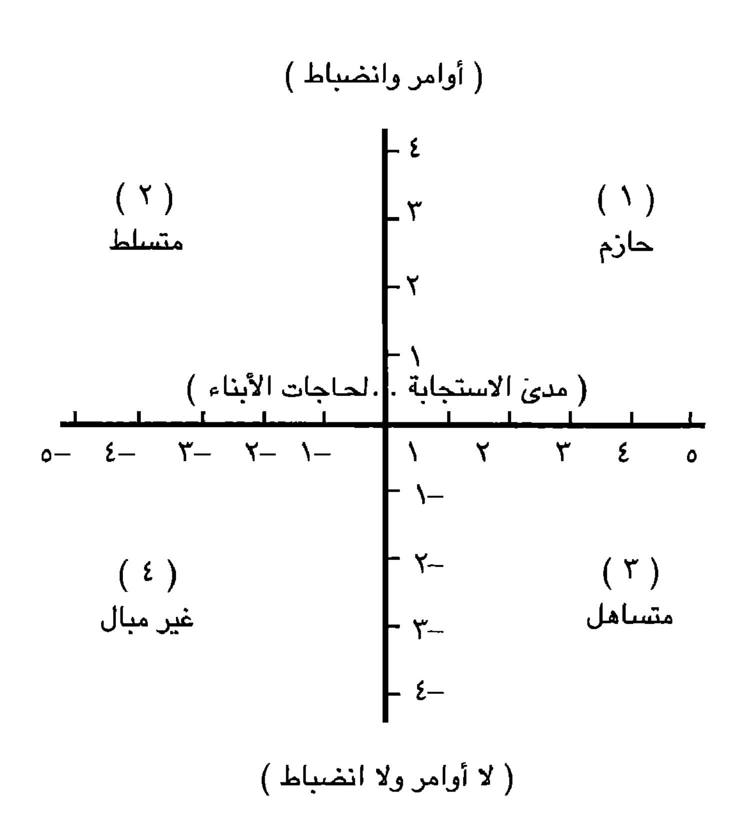
نماذج من الآباء

يمكن تصنيف الآباء من حيث علاقتهم بأبنائهم إلى أربعة أنواع :

(١) أب حازم . (٢) أب متسلط .

(٣) أب متساهل . (٤) أب لا يبالي .

والشكل التالي يُبين هذه الحالات من حيث مدى تجاوب الآباء مع أولادهم ، ومدى التجاء الآباء لأسلوب الضبط ، وإصدار الأوامر والنواهي ، مع وصف لسمات كل نوع .



(١) أب حازم :

أ – يُريد تحقيق الانضباط لكنه واقعي فيما يتوقعه .

ب – يضع القواعد ويفرضها على أبنائه .

ج – حساس لحاجات أبنائه ومتجاوب معهم .

د – عندما يتطرف في السلطة وفي تجاوبه مع احتياجات الأبناء يصبح أبًا شديد الحرص والخوف على أبنائه .

(٢) أب متسلط :

أ – يُكثر من الأوامر والنواهي .

ب – يريد تأكيد الانضباط بشدة .

ج – غير حساس لاحتياجات أبنائه ، ولا يتفهمها .

د – عندما يتطرف في السلطة وعدم التجاوب يصبح قاسيا جدا .

(٣) أب متساهل :

أ – اهتمامه الأساسي باحتياجات الأبناء ورغباتهم .

ب – لا يطلب من الأبناء إلا أقل القليل .

ج – يشب الأبناء بلا ضوابط ويفعلون ما يريدون .

د – لا يتوقع الطاعة من أبنائه بل ينتظر منهم أن يكونوا أصدقاء .

هـ – عندما يتطرف في تلبية احتياجات أبنائه يجعلهم أبناء مدللين .

(٤) أب لا يبالي :

أ – لا يطلب شيئًا من أبنائه .

ب – لا يعرف احتياجات أبنائه ، ولا يهتم بها ، ولا يتجاوب معهم .

ج – يقضي معظم أوقاته منشغلاً عنهم في أعمال أخرى .

د – عندما يتطرف في لا مبالاته يصبح أبًا مهملا لواجباته .

نماذج من الأبناء

إذا أردنا تقسيم أنواع المراهقين بحسب موقفهم من المشاكل نجد أنهم ينقسمون إلى أربعة أنواع :

(١) النوع الذي يكتم المشاكل

ونتعرف عليه من بعض السمات مثل :

أ - يميل إلى الوحدة والاعتزال والانسحاب من المجتمعات ، والبعد عن الأصدقاء .

ب - يعيش مع أحلام اليقظة التي يحاول فيها حل مشكلاته بطرق خيالية .

ج - لا يتفاعل عاطفيًا مع الآخرين .

د - يترك كل الاهتمامات العادية ، والأنشطة التي يمارسها مَنْ هم في مثل سنه .

هـ - لديه ثورة داخلية ، إذا اشتدت تظهر على شكل قلق أو أمراض نفسية وجسمية .

ومن أبرز سمات هذه الشخصية الفشل الدراسي المرتبط بالاكتئاب والانفجارات الثورية .

(٢) النوع الذي يُظهر المشاكل

ويبدو في سلوكه أنواع من الانحراف تسبب كثيراً من المشكلات له ولأسرته مثل :

أ - الإفراط في التدخين ، أو في شرب المسكرات ، أو إدمان المخدرات .

ب - الكذب ، السرقة ، العنف ، الجريمة ، الجنوح .

وهذا النوع من الشخصيات يحاول كسب قبول الشلة التي يتأثر بها (وكلهم من نفس النوع غالبا) بأن يلجأ إلي العنف لكي يُلفت نظر الشلة ،

فيبدو أمامهم بمظهر القوة والاستقلال عن والديه . وأحياناً يتعمد الإهمال في دراسته ويفشل فيها ، أو يتعمد الثورة على الدين والأخلاق وعقائد الآباء ويسخر منها علناً حتى يصبح بطلاً في نظر أصدقائه .

بعض هذه الشخصيات يميل إلى المغامرات الجنسية لكي يبدو بالغاً ، ولكي ينال إعجاب زملائه .

(٣) النوع الذي يهرب من المشاكل

عندما يتعرض المراهق للإحساس بعدم احترام الذات نتيجة معاملة زملائه له ، أو معلميه ، أو أهله فإنه يلجأ للهرب من البيت لكي يهتم به أهله ويشعروا بقيمته .

وقد يلجأ البعض منهم إلى الانتحار كوسيلة للهروب من المشاكل .

(٤) النوع الذي يواجه المشاكل ويتعامل معها

وهو أفضل الأنواع ؛ لأنه يواجه المشكلة ولا يكتمها أو يهرب منها بل يتحدث عنها مع زملائه ، أو مع بعض البالغين ممَنْ يثق فيهم (مثل : الوالدين ، القادة ، المدرسين ، الرعاة ... إلخ). وهو يحاول أن يدرس المشكلة بنفسه ، ويقرأ عنها ، ويتغلب على فشله بتكرار المحاولة حتى ينجح .





أسس العلاقات السليمة (في الأسرة)

التواصل هو الفهم المتبادل بين الآباء والأبناء بالتعبير بالكلام أو إظهار المشاعر أو بتعبيرات الوجه ... إلخ .

هذا يتطلب اللقاء بين الطرفين ، وكلما كان هذا اللقاء مُتاحًا ومتكررًا كان التواصل أسهل وأفضل . حتى إن الابن يستطيع بنظرة إلى أحد والديه أن يفهم ما يريد أن يقوله . كما أن الأب (أو الأم) يستطيع معرفة مشاعر وأحاسيس الابن بملاحظة ملامحه في تلك اللحظة .

والعلاقة الطبيعية بين الابن ووالديه علاقة متصلة . وما أفضل أن يتعود الأبناء على مشاركة والديهم عن كل شيء صادفهم في يومهم منذ خروجهم حتى عودتهم !

فالابن الذي يحكي عمَّا حدث في المدرسة مع المعلمين والزملاء ، والبنت التي تحكي عمَّا صادفها في طريقها للمدرسة من مضايقات ، أو ما شعرت به عندما وبَّختها المديرة إنما يعطون الفرصة للوالدين لفهم ظروفهم ، وسلوكهم ، واتجاهاتهم حتى يستطيعوا إرشادهم أولاً بأول .

لكن لا يجب إجبار المراهق على الحديث ؛ فالأفضل أن نُشجِّعه ونُعوِّده

على ذلك . ويستطيع الأب اللبق أن يحكي عن بعض ما صادفه في يومه من صعوبات أو طرائف ، فيتشجع الأبناء أن يحكوا هم أيضًا مواقف مماثلة .

وهذا يستلزم قضاء وقت كاف مع الأبناء ، أما الاعتذار بأنه لا يوجد وقت لذلك فهو عُذر يجب تلافيه لصالح الأبناء ولصالح الأسرة .

كما أن صد الابن (أو الابنة) عندما يُريد أن يحكي شيئًا يعتقد الوالد (أو الوالدة) أنه شيء تافه يجعل الأبناء يحجمون عن الحديث بعد ذلك . أما إذا صمت المراهق لبعض الوقت فيجب احترام صمته ، وعدم إجباره على الحديث ؛ فهو يحتاج أحيانًا لأن يخلو إلى نفسه .

والحديث مع الأبناء يستلزم من الوالدين مراعاة بعض الأمور :

* لا تدفع ابنك لأن يفكر ويؤمن بما تريده ، أو بما ترى أنه الأنسب ؛ فهذا قد يدفعه للثورة ، أو للتصديق بلا نقاش . لكن هذا التقبُّل أو التصديق المفروض سرعان ما يتحول إلى الثورة أيضًا .

* إن أردنا أن يكون اقتناع الأبناء ثابتًا راسخًا فيجب أن نتلقى أسئلتهم ونتقبلها ، ونوجههم بالإقناع إلى الاتجاه السليم . وحتى إذا كانت أسئلتهم تنُم عن الشك في بعض الأفكار أو العقائد الأساسية فيجب ألا يفزع الأب أو ينتهر ابنه ، بل يناقشه بهدوء ، ويقدِّم له كُتبًا يقرأها في هذا الموضوع ، ويتابعه حتى يقتنع ويؤمن .

إن التشدُّد والصرامة من جانب الآباء قد تقطع حبل التواصل . وقد لاحظ أحد الباحثين (McPherson) أن المراهقين السلبيين نشأوا في بيت يقوم فيه الأب بإلقاء النصائح والخطب بغض النظر عما يريد المراهق أن يقوله ، وبالتالي لا يجد الفرصة للانفتاح على والديه .

وفي دراسة أخرى قام بها باحث آخر (James Alexander) وُجد أن آباء المراهقين المنحرفين لم يتيحوا لأولادهم فرصة التفاهم ، كما لم يحاولوا إشراكهم معهم في عمل جماعي .

* حاول أن تتعرف على ابنك بعمق . معظم الآباء يدافعون عن أبنائهم بالحق وبالباطل ؛ فإذا اشتكت المدرسة من الابن يدافع الأب عن ابنه بدون دراسة للموقف .

تعرَّف على ابنك (أو ابنتك) ، تفهَّم نفسيته ، ما يضايقه وما يسرَّه .
تعرَّف على نقاط القوة فيه كاعتزازه بنفسه ، أو أنه منظم ، أو أنه صادق .
ونقاط الضعف .. إنه يكذب أحيانًا ، أو لا يتحمل المسئولية ، أو لا يبالي .

* لا تتعمد إغاظة ابنك أو احتقاره أو ضربه خصوصًا أمام الغرباء .
فالضرر في هذه الحالة يقع على شخصية الابن ، كما قد يأتي على الأب إذا اضطر الابن للرد عليه بطريقة غير لائقة .

* من الأشياء المهمة علاقة المحبة بين الوالدين والأبناء .. فهناك حب بنَّاء يساعد الأبناء أن يحسوا بالأمن والتقدير ، وهناك حب هدَّام مثل الإفراط في الحماية مما يُدمر شخصية الأبناء .

* الحب غير المشروط ضروري لنضج شخصية الأبناء . فنحن نحب أبناءنا لأنهم أولادنا سواء كانوا ناجحين أو فاشلين ، متميزين أو عاديين ... إلخ .

أما القول : " إن تصرفت بالطريقة التي أريدها سأحبك " ، أو " إن كنت مطيعًا سأحبك " يجعل الابن يحس أنه مرفوض إذا فعل عكس ذلك .
ويجب ألا نتوقع الحب من أولادنا مالم نحبهم نحن ، كما يجب ألا نتوقع منهم الخضوع إن كانوا لا يشعرون بمحبتنا . وحتى عندما نؤدبهم يجب أن يكون تأديبنا ممتزجًا بالحب ؛ فنحن نؤدبهم لأننا نحبهم . أحيانًا يقول الأب لابنه الذي تصرف بأسلوب غير لائق : " ماذا سيقول عني الناس ؟ " وكأن كل ما يهمه هو سمعته الشخصية ، وليس مصلحة الابن .

* الخضوع لا يعني الموافقة على طول الخط ، أو عدم الرد أو المناقشة عند تلقي الأوامر . بل الخضوع يكون نتيجة الحب ؛ فالابن (أو الابنة) يُنفِّذ ما يطلب منه لأنه يحب والديه .

* المحبة أيضًا ليس معناها الحنو الدائم ، أو التغافل عن الأخطاء ، والتستر عليها . فبعض الأمهات يعتقدن أنه يجب التستر على أخطاء الابنة أو الابن ؛ حتى لا يعاقبهم الأب ، لكن المحبة تشتمل على نوع من الحزم .

* عندما تقرر عقابًا لا تجعله مجرد كلام ثم لا تنفذ ما قلته ، وإلا تعوَّد الابن على ذلك وصار التهديد بالعقاب شيئًا عاديًا . ولا تهدد بشيء لن

تستطيع عملَه ، كأن تقول : " إن عملت كذا سأمنعك من الذهاب إلى المدرسة " ، وإلا فهم الابن أن تهديداتك جوفاء .

* إعطاء الثقة للأبناء من البنين والبنات أمر هام . ليكن الأساس في التعامل دائمًا هو الثقة وليس الشك . ثم عوِّد أولادك أن يكونوا محل ثقة ، ووجِّههم بهدوء عندما يخطئون . فالابن (الابنة) الذي لا يخطيء لأنه يخاف من والديه شخص غير مسئول ، ومُعرَّض للخطأ دائمًا . لكن عوِّد أبناءك ألا يرتكبوا الخطأ لأنه خطأ في حد ذاته ، أو لأنه لا يناسب مستواهم ؛ فالأهم من كل هذا أن الخطأ لا يُرضي الله .

يرتبط بهذه النقطة المصارحة التامة ، فيتعوَّد الابن الذي يُخطيء أن يعترف بارتكابه الخطأ ، حتى قبل أن يكتشف الأهل هذا الخطأ . وعلى الأهل أن يشجعوا أبناءهم على ذلك بعدم القسوة عليهم إذا أخطأوا حتى لا يُخفوا أخطاءهم . فالابن الذي يكسر شيئًا ثمينًا في البيت مثلا يعترف بما عمله وأنه أخطأ ، ويغضب الوالدان بدون شك ، لكنهما يقرران أنه فعل هذا دون قصد ؛ ومن ثمَّ يطلبان منه أن يكون أكثر حرصًا . وفي بعض الأحيان يوقعان عليه عقابًا ماديًا كخصم مبلغ بسيط من مصروفه - طبعًا لا يتناسب مع الخطأ ، لكن لمجرد أن يشعروه بخطورة ما عمله .

* يجب أن يهتم الآباء بتعويد أبنائهم على تحمُّل نوع من المسئولية التي تتناسب مع سنهم وخبرتهم . كأن يُكلِّف الأب ابنه بالقيام بمأمورية معينة بدلا عنه مثلا ، أو تُكلِّف الأم ابنتها بالاهتمام بالبيت أثناء غيابها ، أو مراعاة مذاكرة أخيها الأصغر ... إلخ . أما عدم إعطاء أي مسئولية بدعوى الإشفاق فهو مُضّر بالأبناء ؛ لأنه يؤثر في شخصياتهم ، إذ يصيرون شخصيات تعتمد على غيرها دائمًا . ومن ضمن أساليب تدريب الأبناء على تحمل المسئولية إشراكهم في الرأي عند اتخاذ بعض القرارات التي تهم الأسرة . فمثلا عند مناقشة مكان قضاء الأجازة يشترك الأبناء مع الآباء في الحوار ، فيتعود الأبناء الأسلوب الديموقراطي في الحوار دون صياح ، أو فرض رأي ، أو منع شخص من الكلام .

* من أساليب التعود على حمل المسئولية أن نعلِّم الأبناء التصدي

للمشكلات وإعادة المحاولة مرة ومرات دون اللجوء للوالدين من أول الأمر

وربما يتعلَّم الأبناء هذا قبل مرحلة المراهقة . فبعض الآباء يتطوعون بعمل الواجبات المدرسية للأطفال إشفاقًا عليهم ، أو يسارعون لمساعدتهم عندما يواجهون أول صعوبة . لكن إن اهتم الوالدان بالتوجيه فقط التشجيع ، يتعلَّم الأبناء المثابرة في حياتهم .

* من أكبر الأخطاء أن يُركِّز الآباء على التقدُّم الدراسي فقط دون الاهتمام بتقدُّم الأبناء اجتماعيًا أو رياضيًا ؛ فيمنع الآباء أبناءهم من الاشتراك في أي نشاط رياضي بالمدرسة ، أو في رحلة ، أو حفل اجتماعي بدعوى أن هذا مضيعة للوقت . بل إن بعض الآباء يحرمون أبناءهم من اجتماعات الشباب حتى لا يتعطلوا عن دراستهم . والحقيقة أن الأبناء مهما تفوقوا دراسيًا ، لكنهم كانوا غير ناضجين اجتماعيًا ، فإنهم سيعانون كثيرا في حياتهم ؛ فالنضج يجب أن يكون متكاملاً . صحيح أن الاهتمام بالدراسة في هذه المرحلة واجب ؛ لأن الأبناء بطبيعتهم يميلون للهو واللعب ، لكن لا يجب حرمان الأبناء من الاشتراك في الأنشطة المختلفة . فالحياة لا تحتاج إلى التفوق الدراسي فقط بقدر ما تحتاج إلى نضج اجتماعي ووعي . فالإنسان المنطوي الذي يعيش بعيداً عن الناس مُنعزلا عن المجتمع إنسان فاشل مهما كانت درجاته العلمية .

* التعامل مع الأبناء في البيت يؤثر تأثيراً خطيراً على الأبناء . فيجب أن تكون المعاملة ثابتة بمعنى أننا لا نُكيل بمكيالين لأبنائنا ، ولا نتغاضى عن الخطأ مرة ، ثم نعاقبهم بشدة مرة أخرى ؛ وذلك حتى تثبت المعايير عندهم . فالغش خطأ دائمًا لا نُدينه عندما يرتكبه جارنا ، ثم نمدحه إذا عمله ابننا ، وهكذا : الكذب ، وعدم الأمانة ... إلخ .

كذلك يجب المساواة في المعاملة بين الأبناء ، فلا نفضِّل الكبير على الصغير ، ولا الولد على البنت ؛ فالمراهق كما قلنا يؤمن بالمثالية المطلقة ، ولا يستطيع أن يغفر للوالدين تحيزهم لأحد إخوته .

عند التعامل مع الأبناء يجب مراعاة الفروق الفردية بينهم ؛ فهم غير

متساوين في الذكاء مثلا . فلا تطلب من الواحد أن يتفوق بنفس درجة أخيه أو أخته ، ولا تقارن بين الأبناء ؛ فهذا هادئ فهو أفضل من أخيه العصبي المزاج ، وهذا كثير الحركة فهو أسوأ من أخيه الهادئ ... إلخ . فكل ابن له شخصيته المختلفة ، والشخصيات كما نعرف مثل بصمات الأصابع لا توجد شخصيتان متطابقتان تماماً .

ولنحَذر دائمًا من التفريق بين الأولاد والبنات في المعاملة ؛ إذ أن هذا التصرف يترك أسوأ الأثر على البنات ، ويشعرهن بالنقص وأنهن من جنس أقل شأنا .

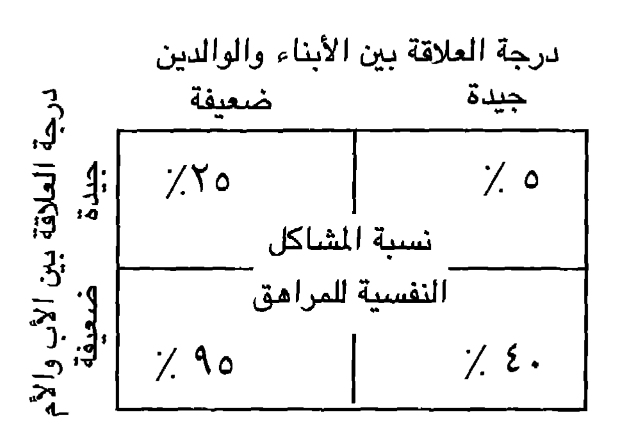
أخيراً .. لا يوجد الابن الكامل ؛ كما لا يوجد الأب الكامل . توقع الخطأ من ابنك ولا تنتظر منه الكمال ؛ فمطالبة الابن بأن يكون كاملا تجعله قلقا خائفا من الخطأ مهتمًا برأي الآخرين . وفي هذه الحالة يشب متردداً غير جريء يفضل الأساليب المألوفة عن الابتكار والإبداع حتى لا يخطئ .

العلاقات الأسرية وتأثيرها على الأبناء

يتلخص سر السعادة فى الحياة الأسرية في كلمة واحدة هى : المحبة فالأسرة المتحابة ؛ التى يحب كل فرد فيها باقى الأفراد حبا حقيقيا تتمتع بحياة سليمة نفسيا واجتماعيا.

وأساس الحب فى الأسرة هو العلاقة بين الزوج وزوجته فلا نتوقع أن يحب الأبناء بعضهم بعضا ، أو أن يوجد الحب بين الوالدين والأبناء إذا كانت العلاقة بين الزوجين علاقة غير سوية تشوبها المشاكل والخلافات والمشاحنات وتدخُّل الأهل والجيران بين الحين والآخر ، بل والقضايا أحيانا . فالأبناء الذين يشبُّون في مثل هذا الجو يعانون من مشاكل نفسية متنوعة لإحساسهم بعدم الأمن وفقدان الثقة وضياع القدوة .

والشكل الاتى يبين نسبة الأبناء الذين يعانون من مشكلات نفسية متأثرين بنوع علاقتهم بوالديهم والعلاقة بين والديهم .



من هذه النتائج نجد أن ٥٪ فقط من المراهقين يعانون من مشكلات نفسية إن كانت علاقتهم بوالديهم جيدة وعلاقة الأب بالأم جيدة أيضا ، بينما تصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ إن كانت العلاقة بالوالدين ضعيفة وعلاقة الأب بالأم ضعيفة .


يا ابني ..
مافيش واحد مؤدب
يتفرج على الحاجات
دي أبدًا .



المجالات المؤثرة في شخصية المراهق

أولاً : المراهق والأسرة :

إن جو الأسرة الذي يعيش فيه المراهق يوثر تأثيراً بالغًا في شخصيته وسلوكه . فإما أن يجد الحب والحنان والدفء العائلي فيشب شخصا سويًا ، أو يعيش في جو من المنازعات الدائمة والشجار والتوتر فيسيطر عليه الخوف والقلق والخجل .

أما الأبناء الذين يرون أباهم سكيراً أو مقامراً لا يهتم إلا بنفسه وملذاته ، ويصرف دخله على مغامراته فقط ، فتهتز شخصياتهم ويجعلهم يشعرون بالخجل من أبيهم أمام زملائهم .

والمراهق الذي يعاني من زوجة أب قاسية ، أو زوج أم لا يرحم ، يثور على المجتمع ، ويقرر الانتقام منه . كما قد يلجأ للسرقة أو المخدرات ليهرب من التفكير في مشكلاته .

البيت المنقسم : وقد أثبتت الأبحاث الاجتماعية أن معظم حالات انحراف المراهقين وجنوحهم سببها البيت المنقسم أو المحطم . فبدلا من أن يعيش المراهق في أسرة متحابة متماسكة يرى الأب في ناحية والأم في ناحية

أخرى ، ويحاول كل منهما أن يجتذبه إلى صفه ضد الآخر ، وهو يُحس بالصراع بين حبه لوالديه وبين وقوفه في صف أحدهما ، فهو صراع بين الحب والكراهية ، وما أقساه على نفس المراهق .

غياب الأب : والابن الذي يشب في بيت بلا أب لأنه مسجون ، أو لأنه ترك البيت و مسافر من مدة طويلة ، لا يجد السند الذي يستند إليه في هذه المرحلة من حياته .

والأمر هنا يختلف عن حالة غياب الأب بسبب الوفاة ؛ فهذا أمر خارج إرادة الأسرة ، وغالبا يقوم أحد الأقارب كالعم أو الخال بجزء من هذا الدور ، أو تحاول الأم القيام بدور الأم والأب معا ، وإن كان هذا الموقف لا يعوِّض عن غياب الأب تماما لسببين :

– يحتاج الابن لأبيه الذي يتفهمه ويثق فى محبته ، ويتوحد معه .. أي يتخذه قدوة يتمثل بها .

– في حالة قيام الأم بالدورين فإما أن تحنو جداً على الابن لتعوِّضه عن غياب الأب فينشأ مدللا كثير المطالب ، أو أن تقسو عليه جداً فينشأ في جو نفسي غير طبيعي حيث أنه يتوقع من الأم الحنان .

الأم المسيطرة : لكن هناك مشكلات أقل حدة يتعرض لها المراهق فتؤثر فيه أيضًا . فالأم المُسيطرة في البيت تظن أنها تقوم بدور الأب اللامبالي أو الغير قادر على القيام بدوره القيادى في البيت ، لكن هذه الأم تؤذي شخصيات أبنائها . فقد وجد أحد الباحثين أن آباء الجانحين الذين يتصرفون ضد المجتمع يكونون عادة من النوع الذي يتظاهر بالقوة والسلطة في عمله وأمام الناس ، أما في البيت فإن السلطة الحقيقية تكون للأم التي لا تهتم بآراء الأب .

أيضًا من مظاهر سيطرة الأم احتكارها لاتخاذ القرارات ؛ فهي وحدها التي تقرر ، ولا تستمع لآراء الأب والأبناء ، بل تقاطعهم إن رغبوا في الحديث أو إبداء ملاحظات . في هذه الحالة ينشأ الشاب خجولا منطويا ميالا للانسحاب . كما أنه لا يجد في أبيه الشخصية التي يقتدي بها فيتوحد مع شخصية أمه ، وبذا لا يستطيع تحديد جنسه بشكل قاطع وفي كثير من

الحالات يكون عُرضة للشذوذ الجنسي بسبب ذلك .

أما الابنة التي ترى شخصية الأم المسيطرة فإما أن تقلِّدها عندما تتزوج ، أو قد تلجأ لعكس الصورة فتميل للزوج القاسي وتستعذب القهر والقسوة .

دور الأب في الأسرة :

كثير من الآباء يعتقدون أن دورهم ينحصر فقط في توفير المال ؛ لهذا يقضون كل وقتهم في العمل الإضافي ، وأحيانًا في أعمال أخرى . إلا أن للأب دورًا هامًا في الأسرة ، وغيابه يمثل مشكلة حقيقية عند كل فرد من أعضائها . ومهما حاولت الأم أو العم أو الخال سد هذا الفراغ فلن يمكن الاستعاضة عن دور الأب .

فالأب يقوم بالحماية لأفراد الأسرة ، مما يُشعر كل فرد بالأمن ، فيلجأ إليه الأبناء (من الأولاد والبنات) عندما تُصادفهم مشكلة ، وتشعر الزوجة بالأمن لوجود زوجها بجوارها يساعدها في مهمة تربية الأبناء ، وحمل جزء من المسئولية .

ويدخل ضمن دور الأب في الحماية منع المراهق من التعرض للأخطار المادية والمعنوية ؛ فهو يمنعه مما يمكن أن يُعرض مستقبله للخطر سواء من الأصدقاء ، أو جماعات السوء . كما يمنعه من كل ما يضيع وقته في أمور تافهة ، أو يضر صحته كالتدخين والمشروبات الكحولية أو تناول الأقراص المهدئة ... إلخ .

كما أن الابن يُقلِّد أباه نتيجة اتحاده النفسي بشخصيته وهذا ما نسميه التوحد مع الأب ؛ فهو يُقلِّده في سلوكه عامة واتجاهاته وقيمه ، كما يُقلِّده في حمل المسئولية ، والقيام بدوره القيادي في الأسرة .

أيضًا يتأثر الأبناء بأسلوب الأب في علاقاته الاجتماعية في البيت وخارجه ، وهو تأثير سلبي أو إيجابي بحسب شخصية الأب . فالأب الذي يعيش منسحبًا من المجتمع يعلِّم أبناءه السلبية بدعوى البعد عن المشاكل . فينشأ الأبناء على نفس الصورة غالبًا لا يهمهم إلا مصلحتهم . والأب الذي

يسـعى لمسـاعـدة الآخـرين من الأهل والجيـران يعلّم أولاده الإيجـابيـة في التعامل مع المجتمع .

ولا يجب أن يتصور الأب أن وظيفته تنحصر في العقاب ، ففي كثير من العائلات تقول الأم للأبناء : " سأشكوكم لأبيكم " فيخاف الأبناء من الأب ، لكنهم لا يحترمون الأم . بل إن أحد أدوار الأب هو التعبير عن الحب لأفراد أسرته لكن في حدود المعقول . فهو حب قوي لكن بلا تدليل زائد ، وحزم لكن بغير قسوة ، ورعاية بغير تدخل ، وإنفاق لكن بغير تبذير ولا تقتير .

وإن كنا قد ركزنا على دور الأب وصورته عند ابنه فلا ننسى دور الأب بالنسبة لابنته . فالبنت تميل عادة لأبيها وتغار عليه ، وتريده أن يُدللها . لكن بعض الآباء يرفضون ذلك عندما يرون أن الابنة قد صارت شابة بالغة ، بل قد يتحول الأب إلى العكس ، فينتهر ابنته إن حاولت أن تحتضنه أو تقبِّله كما اعتادت وهي صغيرة . فإما أن تشعر الفتاة أنها مرفوضة مما يُشعرها بعدم القيمة ، بل ويشوه صورة الرجولة في نظرها . أو تتعرض هذه الفتاة للارتباط عاطفيا بأول شاب يُشعرها بالعطف ؛ لتعوِّض ما ينقصها من حاجة للحب . وكثيرا ما تتعرض الفتيات لمشاكل خطيرة في هذه المرحلة بسبب ذلك .

دور الأم في الأسرة :

الأم هي مصدر العطف والحنان والحب والعطاء في الأسرة فدورها دور أساسي . وبدون الأم يشعر الأبناء بجوع شديد لا إلى الطعام – كما يعتقد البعض أن هذا هو كل دور الأم – بل لجوع عاطفي شديد للحب .

لكن بعض الأمهات يستخدمن الحب الأموي للضغط على أبنائهن المراهقين بالمطالب الكثيرة : " إن كنت تُحب ماما اعمل كذا ، وكذا..." سواء للأولاد أو البنات .

كما أن للأم دوراً خطيراً في التربية . فإذا شجعت سلوكًا غير سليم من الابن أو الابنة فإنها تهز القيم ، بل وقد يؤدي ذلك إلى الانحراف . فالأم قد تشجع الابن على التدخين مثلا لكي يبدو رجلاً ، أو قد تشجع الابنة على

لبس ملابس غير محتشمة لكي تجذب انتباه الشباب ، وتجد العريس المناسب . لذا يجب أن تراعي الأم خطورة هذا الاتجاه .

بعض الأمهات يحاولن تحقيق أي رغبة للأبناء بدافع الحب ، بدلا من أن تُدرب أبناءها على رفض ما هو ضار وتحقيق ما هو مناسب في حدود الإمكانات . أما الأم التي تعطي أبناءها مالا بدون علم أبيهم فهي تهدم ركنًا أساسيًا في التعامل مع الأبناء في هذه المرحلة ؛ فيرى الابن أن أمه هي رمز الحنان أما أباه فهو القاسي المتجبر . أو قد يعتقد أن أمه ساذجة تُصدق كل ما يقوله لها فيحاول دائما أن يخترع الأكاذيب ليحصل على كل ما يريده منها . والأم عادة هي الأمينة على أسرار أبنائها لذلك يلجأون إليها – خاصة البنات منهم يستودعونها أسرارهن ويطلبن مشورتها . وعلى الأم أن تستمع لمشكلات أبنائها وتبدي نُصحها ومشورتها ، حتى ولو لم يقبلها الأبناء في وقتها لكنهم بلا شك سيتأثرون برأيها .

أما إذا أفشت الأم أسرار الابنة أو الابن لباقي أفراد الأسرة فإنها ستفقد ثقة كل الأبناء ، ولن يحكي لها أي منهم سراً بعد ذلك .

دور الإخوة في الأسرة :

إن وجود المراهق بين إخوته في البيت يساعده على فهم ذاته وفهم الآخرين . فمن خلال تعامل المراهق مع أخته يعرف الكثير عن طبيعة وصفات الجنس الآخر ، وبالمثل فإن تعامل الفتاة المراهقة مع إخوتها من البنين يجعلها تتعرف على بعض صفات الذكور وطريقة التعامل معهم .

والصداقة القوية بين الأخ وأخته تجعل كلاً منهما يتعلم كيف يتعامل مع الجنس الآخر . وكثيراً ما تنصح الأخت أخاها عن الأسلوب الأمثل للتعامل مع زميلاته ، وما يرغبن فيه وما يرفضنه . كما أن الأخ يشرح لأخته كيف يفكر الشباب في الفتاة ، وكيف يمكنها التعامل مع زملائها بطريقة سليمة ومحترمة ، فلا تتباسط مع الشبان أكثر من اللازم فيرونها مستهترة ، ولا تتزمت أكثر من اللازم فينصرفون عنها . كما أن تعامل المراهق مع أخيه الأكبر يجعله يتفهَّم معنى احترام مَنْ هم أكبر منه ،

والاستفادة من آرائهم . وتعامله مع إخوته الأصغر منه يُعلِّمه سعة الصدر والتقبل والحب والتضحية لأجل أشقائه .

هذه الأمور يفتقدها الابن الوحيد (أو الابنة الوحيدة) مما يستلزم علاج الموقف بالاختلاط بآخرين- ولا سيما من الجنس الآخر - اختلاطًا سليمًا .

البيت المسيحي

تحدثنا عن الجو العائلي بصفة عامة ، أما البيت المسيحي فله ميزاته الخاصة التي تجعل مرحلة المراهقة تمر بسهولة ، وبأقل المشكلات بالنسبة للأبناء والآباء على السواء .

ما هي سمات هذا البيت المسيحي ؟

(١) هو البيت الذي يؤدي فيه كل من الأب والأم دوره المكلَّف به في تعاون وتناغم ، فلا يُلقي أحدهما بالمسئولية على الآخر . فلا يقول الأب مثلا لزوجته : " لقد رسب الولد وهذه مسئوليتك " ، أو تقول الأم : " الولد على وشك الانحراف لأنك أسأت تربيته " . إن تربية الأبناء والاهتمام بهم مسئولية مشتركة ، وأي تقصير من أحد الطرفين سيُضر الأبناء بلا شك .

(٢) البيت المسيحي هو البيت الذي يسوده الحب ، فيشعر فيه الابن والابنة بالحب الحقيقي بين الأب والأم . وفيه يفهم الأبناء معنى الزواج المسيحي ، والفرق بينه وبين أي زواج آخر .

عندما يتخاصم الوالدان أمام الأبناء فإنهما يشوِّهان هذه الصورة الجميلة ، وتصبح كلمة الحب بلا مضمون . ومعظم المشرَّدين والمنحرفين والجانحين تربوا في بيوت محطمة ، أو تركهم الأب أو الأم فجالوا هائمين بلا ضابط .

(٣) البيت المسيحي هو النموذج الذي تُمارَس فيه تعاليم السيد المسيح . فيتعلم الأبناء التعاليم المسيحية لا بالكلام بل بالعمل والحق .

لكن هل البيت المسيحي هو البيت الذي لا تحدث فيه خلافات أبداً ؟ لا .. بل تحدث خلافات قليلة أو كثيرة . لكن يجب أن يرى الأبناء كيف نختلف بطريقة مسيحية ، وكيف نعترف عندما نخطيء ، وكيف نغفر لمنْ أخطأ ، وكيف نعطي الفرصة لمنْ انحرف لكي يُصلح خطأه .

(٤) هو البيت الذي يقوم بدوره في رعاية الأبناء ، ويحرص على اللقاء بين الأفراد كلما أمكن ذلك . فتعتاد الأسرة اللقاء حول مائدة الطعام مرة على الأقل كل يوم . ربما تختلف مواعيد خروج الأبناء والآباء صباحاً ، أو ربما تختلف مواعيد رجوعهم للبيت . لكن في المساء تجتمع الأسرة لكي يشعر كل فرد منها بالآخرين وظروفهم .

كما تهتم الأسرة كلما أمكن بأن تجتمع معًا للحديث ، ليس بالضرورة حول موضوع معين ، ولا لكي يُلقي الأب أو الأم خطابًا ، بل أن الحديث العادي يُقرِّب بين أفراد الأسرة ويخفف من التوترات .

(٥) البيت المسيحي هو الذي يهتم بدراسة كلمة الله وشرحها للكبير والصغير ، وتبادل الاختبارات عن عناية الله اليومية ، والصلاة معًا خصوصًا عندما تواجه الأسرة ظروفًا صعبة . فهذا الجو من الإيمان والثقة بالله منذ الطفولة يعطي الأبناء الإحساس بالأمن والثقة .

فالبيت المسيحي هو الحصن الذي يلجأ إليه أفراد الأسرة وسط عالم شرير مليء بإغراءات الشر ، فيجدون راحة واطمئنانًا ، كما يجدون الدعم النفسي والروحي .

(٦) في البيت المسيحي يجد المراهق القدوة في الكلام العفيف . ففي بعض البيوت يشتم الأب أولاده ، أو تطلب الأم من الله الانتقام من أبنائها ، فيتعلَّم الأبناء هذه اللغة في حياتهم اليومية .

أما في البيت المسيحي فيتحفظ الأفراد في كلامهم معًا ، أو في الحديث عن الآخرين مهما كانت الظروف أو درجة الانفعال .

(٧) هل نعلِّم أولادنا في البيت معنى الثقة بالله وفائدة الصلاة ؟ هذا التعليم لا يؤدي النتيجة المرجوة بمجرد النصح ، بل يتعلمه المراهق بالملاحظة والممارسة . فهو يلمس مقدار ثقة والديه بالله في كل الظروف ..

إذا مرض أحد أفراد الأسرة ، أو إذا واجهت الأسرة ظروفًا مالية قاسية . بل ويرى استجابة الله في مثل هذه الظروف ، فيثبت إيمانه وينمو في النعمة . كما يتعلم الشكر على نعم الله بلا تذمر ، فيحيا المراهق في جو نفسي مستقر متكلا على الله القادر على كل شيء .

ثانياً : المراهق والمدرسة :

تستطيع المدرسة أن تقوم بدور هام في تنمية شخصية طلابها . فوظيفة المدرسة ليست قاصرة على مجرد تحصيل العلوم والمعلومات المختلفة - كما هو حادث في كثير من المدارس اليوم التي لاتهتم إلا بالامتحانات ونسبة النجاح آخر العام - لكن دور المدرسة كبير في التأثير على شخصية الطالب ككل .

فالمدرسة التي تقوم بدورها التربوي لا يقتصر تركيزها على مناهج الدراسة ، والتأكيد على الطاعة ، وحفظ النظام فقط ؛ بل تهتم بنواحي أخرى لا تقل أهمية عن النجاح في المواد الدراسية ؛ فهي تهتم بالنشاط الاجتماعي الهادف ، وتراعي اشتراك جميع الطلاب أو على الأقل معظمهم في الأنشطة . وعليها أن تهتم بتنويع الأنشطة حتى يندمج كل طالب فيما يناسبه من نشاط . وفي نفس الوقت يساهم المدرسون في إبراز ما تنطوي عليه المادة الدارسية من مضمون اجتماعي مثل الوعي بالبيئة ومشكلاتها ، وإبراز دور الأبطال في صنع التاريخ ، والاهتمام بتقديم نماذج من المشهورين في العلوم المختلفة ؛ ليكونوا قدوة أمام الطلاب .

كما أن بعض المدارس اتجهت لإشراك الطلاب بصورة أو بأخرى في إدارة المدرسة .. مثلاً عن طريق اتحاد الطلاب . لكن يجب أن يكون لهذا الاتحاد دور فعال في إبداء الرأي في النظام المدرسي ، وتحسين الأداء في المدرسة ، ولا يكون مجرد « ديكور » لوصف المدرسة بأنها مؤسسة « ديموقراطية » .

دور المعلِّم :

يأتي دور المعلِّم في المرتبة الثانية بعد الآباء لما يتمتع به من فرصة للتأثير على شخصية المراهق .

ومن نتائج بحث أُجري على طلاب مدرسة ثانوية أشار الطلاب إلى أنهم يحبون أن يهتم بهم المعلِّم ، ويتفهمهم ، ويعاونهم على إظهار قدراتهم وإمكاناتهم . وكثيراً ما يكون أحد المعلمين قدوة للطالب يقتدي به خصوصاً إذا افتقد هذه القدوة في والديه .

في مرات كثيرة يكون لأحد المعلِّمين تأثير مباشر في توجيه مستقبل الطالب سواء بالسلب أو الإيجاب ؛ فالطالب يكره المادة أو النشاط الذي يقدِّمه معلم لا يحبه ، وبالعكس فهو يحب المادة أو النشاط الذي يقدمه معلِّم يحترمه يجلُّه ويعتبره قدوة له . فالمعلم الذي يكتشف في المراهق موهبة معينة ويساعده على تنميتها بجعله يرتبط به ويتأثر به ويقلِّده .

والمعلِّم الواعي بدوره ، ومقدار تأثيره يستطيع بإظهار تقديره للطالب ، واحترامه لشخصيته ، وعدم محاولة الاستهزاء به أمام الطلبة الآخرين ، أو معاقبته بأسلوب مهين ، أن يكسب حب الطالب واحترامه . فالمعلم يجب أن يعرف نوع العقاب المناسب للطالب في هذه المرحلة ؛ فقد يكون العقاب الأدبي أشد قسوة من العقاب البدني ، كما لا يجب أن يتسرع المعلِّم – إزاء خروج الطالب عن النظام – في توقيع العقاب وهو منفعل ؛ بل يمكن أن يدعوه بعد الدرس للتفاهم معه ، وتوضيح نوع الخطأ الذي وقع فيه .

وأحياناً تلجأ المدرسة لأنواع من العقوبات الضارة بالطالب ، أو بشخصيته . فالمدرسة التي تُغلق الباب بعد دخول الطلبة ولا تسمح للمتأخرين بالدخول بعد ذلك تساعد هؤلاء المتأخرين على الانحراف ، وقضاء الوقت في السينما أو في الحدائق حتى ميعاد انصراف المدرسة .. وهذه فرصة كبيرة للانحرافات المختلفة .

والمعلِّم أو المدير الذي يُوقِّع العقاب على طالب أثناء طابور الصباح يظن بذلك أنه يُخيف باقي الطلبة ، لكنه يؤدي لتمردهم ، وإلى تحطيم شخصية الطالب المعاقب ، ودفعه للجنوح في محاولة لرد كرامته المهدرة .

فالعلاقة بين المعلِّم والطالب يجب أن تكون علاقة إنسانية أساسها مصلحة الطالب ، والحرص على مستقبله ، وتكوين شخصيته .

وقد يلجأ المراهق أحيانا لإحداث شغب في الفصل للفت النظر إليه ، ونوال إعجاب زملائه به ، وفي هذه الحالة فهو يُعبِّر عن حاجته إلى التقدير من المعلِّم . كما قد يشاغب نتيجة عدم تمكنه من متابعة الدرس ، أو لشعوره بالملل من المادة التي تقدَّم . ودور المعلِّم هنا هو البحث عن دافع الشغب وليس التخلُّص من الطالب أو معاقبته .

النشاط المدرسي :

المدرسة ليست مجرد منهاج وحصص ، لكنها تقوم بدور كبير في إشباع بعض الحاجات الجسمية والفكرية والنفسية ، وذلك من خلال الأنشطة المدرسيَّة .

إن ممارسة الرياضة في المدرسة ضرورة في هذه المرحلة ، كما في كل المراحل ؛ ففضلاً عن تنشيط البدن فإنها تُشبع في الطالب الرغبة في التفوق والتفاعل مع زملائه من أعضاء الفريق . وإن كانت بعض المدارس لا تهتم بالرياضة إمَّا لضيق مساحة الفناء ، أو لقصر اليوم الدراسي ، أو لعجز في ميزانية الأجهزة والأدوات الرياضية إلا أن هذا يحرم الطلبة من أحد أهم ميزات المدرسة . فالطالب في هذه المرحلة يريد أن يقوي عضلاته ويتباهى بقوته وبتناسق وجمال جسمه ؛ فيُقبل على ألعاب القوى والجري والجمباز . كما يُقبل على الألعاب الجماعية ككرة القدم والسلة واليد والطائرة ... إلخ . ولسنا في حاجة لذكر فوائد الرياضة فكلنا نعرف أن العقل السليم في الجسم السليم . لكنها في هذه المرحلة ضرورة للتسامي بالدافع الجنسي عند المراهق ، وشغل وقت فراغه بما يعود عليه بالفائدة .

كلما تنوعت أنواع الرياضات المتاحة أمكن لجميع الطلبة الاشتراك فيها ؛ إذ يختار كل طالب ما يعجبه ويناسبه ، فلا تقتصر الرياضة على الفرق الرياضية . أما النشاط العلمي والاجتماعي فمجالاته عديدة .. نذكر

هنا نشاطًا هامًا هو فرق الكشافة (سواء للبنين أو البنات) ؛ فهذا النوع من النشاط وإن كان قد أُهمل الآن في كثير من المدارس إلا أنه مفيد جدًا ؛ إذ يُعلِّم الطالب النظام والطاعة والخدمة والاعتماد على النفس ومساعدة الآخرين ، وهي قيم رائعة يتعلمها الطالب عن طريق الممارسة في المعسكرات والتدريبات المختلفة . كذلك الرحلات المدرسية خصوصًا الثقافية والعلمية وجمعيات النشاط كالتصوير والتمثيل ... إلخ .

عندما يشترك الطالب في أحد هذه الأنشطة يُنمِّي شخصيته ، ويخرج من حالة الانطواء والقلق التي تسيطر عليه نتيجة الخوف من الامتحانات . ويفرِّغ من خلالها أيضًا طاقته فيما يعود عليه بالفائدة ، بل ويحب الدراسة والمدرسة ويُقبل عليها بكل شوق وشغف ، ويتعلم الانتماء لفريقه ولمدرسته .

ثالثًا : المراهق واجتماع الشباب :

لا يمكن أن ننسى دور الكنيسة في تكوين شخصية الأبناء ؛ فالكنيسة تقدِّم للشباب ما لا تستطيع أي جماعة أو مؤسسة أخرى أن تُقدِّمه لهم ، ألا وهو جو العبادة والشبع الروحي .

وقد اهتمت معظم الكنائس بعمل اجتماعات خاصة للشباب ؛ حتى تُقدِّم لهم الحقائق المسيحية بالأسلوب المناسب لهم ، وحتى تُتيح لهم فرصة الاشتراك في مختلف الأنشطة والخدمات .

واجتماع الشباب يلعب دورًا هامًا في تكوين شخصية المراهق ؛ فليس اجتماع الشباب مجرد أحد اجتماعات الكنيسة ، ولا هو صورة مُصغَّرة من كنيسة الأحد ؛ لكنه يقوم بدور رئيسي في التكوين النفسي والاجتماعي للشباب ، بالإضافة إلى الدور الروحي بالطبع .

وتتميز مرحلة المراهقة كما ذكرنا بميل المراهق للارتباط بمجموعة من الأقران في مثل سنه ، يشعرون بمشاعره ، ويشاركونه أفكاره واتجاهاته .

هذه « الشلة » – الجماعة الصغيرة التي يرتبط بها المراهق – يكون لها تأثيرها الخطير – سواء بالسلب أو الإيجاب – على سلوكه في هذه المرحلة ؛ فهو يسعى بكل جهده لكي ينال رضاها .

وعادة يرتبط أفراد « الشلة » بصداقة قوية ، ويدين كل فرد فيها بالولاء لمبادىء ومعايير متفق عليها بينهم ، حتى لو كانت مختلفة عن مبادىء الأسرة فيتكوَّن عند الفرد الإحساس بهويَّة الجماعة (نحن) ، وقد يكون للشلة لغة خاصة بها أو موسيقى يفضلونها أو هواية يميلون إليها أكثر من غيرها .

واجتماع الشباب – أو أحيانًا مجموعة صغيرة منه – يقوم بدور « الشلة » مما يُشعر المراهق بالألفة مع الجماعة فلا يحس بالاغتراب ، كما يجد فيها القوة التي تساعده على تأكيد ذاته حتى يثبت نفسه ومكانته في عالم الكبار . وطبيعي أن جماعة الشباب في الكنيسة أفضل كثيراً من « الشلة » التي تتكون من شباب ضائع في العالم .

اجتماع الشباب يُتيح للمراهق الفرصة للعثور على دور يؤديه حتى يحس بأهميته كفرد ، وذلك بتحمل المسئولية في نوع من الأنشطة المختلفة للاجتماع سواء كان نشاطًا روحيًا ، أو اجتماعيًا ، أو ثقافيًا ، أو خدمة للآخرين ... إلخ .

كما أن اجتماع الشباب يساعد المراهق على اكتساب المهارات الاجتماعية اللازمة للتعامل مع الآخرين من نفس الجنس أو من الجنس الآخر ، حتى يكون مقبولا من الجماعة ويستطيع الاندماج معها .

اجتماع الشباب أيضًا يزوِّد المراهق بالإحساس بالانتماء للجماعة ، وهي إحدى الحاجات النفسية الهامة . فهو يتحدث عن نفسه قائلا : " قررنا ، وفكرنا ، وعملنا ... " أي يتحدث بلغة نحن . وعندما يرتبط المراهق بأعضاء الاجتماع تتكون صداقات قوية تدوم لفترات طويلة ؛ لأنها صداقة مبنية على أُسس سليمة ، لا على أُسس نفعية كالصداقات العالمية .

ويُلاحَظ أن تأثير الاجتماع والأصدقاء يتطور من المراهقة المبكرة حتى المراهقة المتأخرة ؛ فبينما يقل تأثير الأسرة تدريجيًا يزيد تأثير الأصدقاء تدريجيًا .

أيضًا يُلاحَظ تأثير أنماط السلوك السائدة في الاجتماع على سلوك المراهق ؛ فهو يتأثر ببعض الأشخاص في الاجتماع لاسيما القادة والخدام ،

ويحاول تقليدهم في حياته ، وسلوكه ، وكلامه ، وعبادته ، ويتبنَّى أحيانًا أهدافهم واتجاهاتهم . وهذا يضع مسئولية كبيرة على القادة حتى يكونوا قدوة صالحة « في الكلام ، في التصرف ، في المحبة ، في الروح ، في الإيمان ، في الطهارة . » (١ تيموثاوس ٤ : ١٢) .

هذا عن الجوانب النفسية والاجتماعية ، وهي وإن كانت جوانب هامة في حياة الشباب إلا أن الاجتماع له دور أهم في الجانب الروحي . صحيح أن الأسرة لها تأثيرها الكبير ، وأنها تضع الأساس منذ الطفولة ، وهي التي ترافق الشاب وتُشجعه على الذهاب للكنيسة . إلا أن الشاب يجد في اجتماع الشباب مجالا آخر ربما لا يجده في الأسرة .

فقد يخجل المراهق أن يُصرِّح لوالديه بما يجول في ذهنه من شكوك أو مشكلات ، لكنه يجد بين أقرانه مجالاً طيبًا للتعبير والتقبُّل . كما يجد نفس الشيء من القائد في معظم الأحيان ؛ فهو المشير الذي يستمع ويهتم ويساعد ويوجِّه . وعندما يحس المراهق بشدة الدافع الجنسي يشعر أنه خاطيء في فكره وتصوراته وشهواته ، ويحتاج لمَنْ يُمسك بيده مشجعًا ومرشدًا إلى الطريق .

إن اجتماع الشباب يستطيع أن يُقدِّم للشباب المسيح الذي يُخلِّص من كل خطية والذي يملك على الحياة ، فيجعل لها هدفًا ومعنى . فالمراهق يبحث عن معنى للحياة ، وكثيرون ينحرفون أو ينتحرون عندما لا يجدون هذا المعنى . أيضًا يبحث المراهق عن الحقيقة ؛ لذا فإن مرحلة المراهقة فرصة ذهبية للتعرف الشخصي على الرب يسوع ، وتسليم الحياة له باعتباره هو الطريق والحق والحياة .

وعلى خُدَّام وقادة الشباب أن يدركوا مسئوليتهم عن إشباع احتياج الشباب إلى معرفة الطريق في هذه المرحلة .. « اذكر خالقك في أيام شبابك » (جامعة ١٢ : ١) . فما لم يتوصل المراهق إلى الطريق فإنه يحاول أن يجد لنفسه طُرقًا أخرى للإشباع ، لكنها جميعًا « آبار مشققة لا تضبط ماء » (إرميا ٢ : ٣) أي أنها لا تروي . بعض اجتماعات الشباب تحاول اجتذاب الشباب بطرق مختلفة كالحفلات ، والرحلات ، وغير ذلك .

وكلها أمور مفيدة إلا أنها غير كافية ؛ فهي تُشبه الذي يقدِّم للمريض قطعة من السكر مذاقها حلو لكنها لا تُفيد . صحيح أن الدواء يُغلَّف بمادة حلوة الطعم لكن بدون الدواء لا فائدة .

ويجب أن يهتم اجتماع الشباب بتكوين شخصية المراهق لتكون متكاملة روحيًا ونفسيًا واجتماعيًا وثقافيًا ؛ لذا يحتاج برنامج الاجتماع لدراسة عميقة لكي يشبع كل هذه النواحي ، ولا يهتم بجانب واحد فقط . كما يجب الاهتمام بأن يكون الاجتماع جذابًا ، يُخاطب المراهق بما يناسبه وما يهمه ، وأن يشترك المراهق في كل اجتماع بالمناقشة والحوار والأسئلة ، وأن يُتاح للشباب فرصة للتعبير عن أنفسهم .

كلمة أخيرة للآباء الذين يحرمون أبناءهم من حضور اجتماع الشباب إما حرصًا على عدم ضياع الوقت ، أو خوفًا من تكوين صداقات مع الجنس الآخر .. نقول لهم : إن وجودهم في الاجتماع أفضل بكثير من ارتباطهم « بشلل » منحرفة ، أو على الأقل لا هدف لها . وتكوين صداقات بريئة تحت ملاحظة القادة والخدام أفضل من تكوين علاقات بعيداً عن الأسرة والكنيسة . فلنشجع إذاً أبناءنا على الارتباط بالكنيسة وباجتماع الشباب ، مع شيء من الانضباط في الوقت . وليكن يوم الاجتماع هو يوم للراحة والنزهة بالنسبة للطالب أو الطالبة ؛ فلا يمكن أن يذاكر الطالب كل الوقت دون راحة .

رابعاً : المراهق ووسائل الإعلام :

الإعلام ، كما هو معروف ، يشمل أنواعًا عديدة من الوسائل المقروءة ؛ كالصحف والمجلات ، والمسموعة ؛ كالإذاعة ، والمرئية ؛ « كالسينما » و « التليفزيون » و « الكمبيوتر » ... إلخ .

وهذه الوسائل تتقدم بسرعة مذهلة ، وتتنوع وتصل إلى كل مكان في العالم . كما أن لها تأثيرًا هائلاً على المجتمع البشري ، وعلى مرحلة الشباب بصفة خاصة .

وكما ذكرنا سابقا فإن الإنسان يصل إلى قمة النمو العقلي عند مرحلة

المراهقة ، ويتبع ذلك نمو بعض القدرات العقلية الأخرى كالفهم والتذكُّر والاستدلال والنقد . وتتميز هذه المرحلة بالميل للاستطلاع والاستكشاف ؛ لذا يُقبل المراهق - بقليل من المساعدة والتوجيه - على القراءة بنهم شديد ، ولاسيما في المجالات التي تُشبع حاجتة للاستطلاع والاستكشاف . ويعرف الإعلاميون قوة هذه الحاجة ؛ لذلك يحاولون إغراء القُرَّاء لقراءة صحفهم ومجلاتهم بنشر كل ما هو مثير . فنجد عدداً كبيراً من الصحف تُركِّز على الحوادث ولاسيما المثير منها (كالخطف ، والاغتصاب ، والعنف ، والمخدرات ... إلخ) ، كما تُركِّز كثير من المجلات على صور الممثلات والراقصات وأخبارهن . فلا عجب إذاً عندما نرى المراهق يُقبل بشدة على قراءة هذه الأنواع من الحوادث ، ومشاهدة تلك الصور المثيرة . ويدفع المراهق أي مبلغ للحصول على هذه المجلات المصوَّرة .

ولا شك أن هذه الحكايات والصور تنطبع في مُخيِّلته ، وتتفاعل مع دوافعه فتؤثر فيه تأثيراً بالغًا . وبعض الشباب يتبادلون نوعًا خاصًا من الصور والمجلات والكتب سراً .

أما عن الوسائل المرئية والمسموعة فمعلوم أن الإذاعة الرسمية و« التليفزيون » الحكومي يخضعان لرقابة دقيقة مما يُريحنا من متاعب كثيرة .

إلا أن المراهق يتأثر ببعض أحداث العنف ، حتى وُجِد أن بعض المراهقين الذين يلجأون للسرقة يستخدمون نفس الطرق التي يشاهدونها في المسلسلات والأفلام .

والمرئيات لها تأثير أكبر من الوسائل الأخرى . فقد انتشر « الڤيديو » انتشاراً كبيراً ، وانتشرت معه بعض الأفلام الجنسية الممنوعة . لكن بعض التجار عديمي الضمير يحاولون إغراء الشباب على مشاهدتها سراً ، أو بيعها لهم أو عرضها في أماكن خاصة . وطبيعي أن مثل هذه الأفلام تحتوي على كل ما هو شاذ وغير عادي لتُثير الشباب .

كما انتشرت أخيراً بدعة جديدة هي استخدام « الكمبيوتر » في هذا المجال ؛ إذ يستطيع المشاهد التحكم في الصور ، وتقريبها إلى بعضها ،

وتغيير أوضاعها بالشكل الذي يريده ؛ مما يشكل خطورة شديدة على الشباب عامة والمراهقين بصفة خاصة .

هذا وقد انتشرت في هذه الأيام الأخيرة وسائل التقاط الإرسال من مختلف المحطات في العالم باستخدام أطباق الاستقبال (الدِّش) . ويجد الشباب فيما تنقله هذه الأطباق ما يريدون من أشياء رائعة ومفيدة . كما يجدون فيها ما يشتهون من جنس ، وجريمة ، وشذوذ دون أي رقابة .

هنا نريد أن نقول كلمة عن أثر « التليفزيون » و « الڤيديو » بصفة خاصة :

(١) يقوم « التليفزيون » بتوجيه المشاهد دون أن يشعر ؛ فهو يُصوِّر العالم ومشكلاته من منظور معين ومن زاوية معينة . مثلاً قد يعمد تليفزيون دولة ما تصوير العالم الثالث أنه مُتخلِّف ورجعي لا أمل ولا رجاء في تقدمه بينما قد يُصوِّر « تليفزيون » دولة أخرى هذه البلاد نفسها مبينًا مدى كفاحها ونموها ونشاط سكانها ، وهكذا . والمشاهد يتلقى التوجيه دون أن يشعر ، ويصبح ما يراه عقيدة عنده .

كما أن هناك قضايا كثيرة أخرى نتأثر بها دون أن نعي أنها تختلف عن عقائدنا الدينية أو قيمنا مثل مشكلات الزواج والطلاق وتعدد الزوجات .

(٢) « التليفزيون » وسيلة رائعة للثقافة ؛ إذ ينقلك وأنت جالس على كرسيك إلى القطب الشمالي ، أو وسط أفريقيا ، أو سطح القمر ... إلخ . لكن كثيراً ما تكون هذه الثقافة سطحية يتأثر بها المشاهد وقتيًا ، لكنها لا تترك تأثيرها فيه مثل تأثير الكتب مثلا .

(٣) إن الجلوس مدة طويلة أمام « التليفزيون » يستهلك الوقت دون أن يحس المشاهد ؛ فيقضي الساعات يشاهد المسلسلات ، والأفلام الجذابة ، وينتقل من محطة لأخرى مشدوداً للجهاز . ثم يكتشف – أو لا يدري – بعد عدة ساعات أنه لم يفعل شيئًا ، ولم يُضف إلى معلوماته جديداً . بل أن البعض يشاهدون الرواية الواحدة أكثر من مرة . وكثير من الخلافات بين المراهقين ووالديهم تدور حول هذه النقطة ؛ فالمراهق يريد متابعة أحداث الروايات والمسلسلات ، ومسابقات كرة القدم ، والأخبار ؛

وينسى أنه مسئول عن الدراسة ، وأداء واجبات معينة .

ويظن المراهق أنه قادر على التحكم في نفسه وغلق « التليفزيون » في أي وقت يشاء . لكن هذا لا يحدث ، وتتحول مشاهدة « التليفزيون » إلى نوع من الإدمان .

(٤) يُدمن المراهق مشاهدة « التليفزيون » ، وأفلام « الفيديو » خصوصاً في وقت الأجازة الصيفية .. وما أطولها ! ومرات يعتقد الآباء أن هذه وسيلة طيبة لشغل الأبناء عن الخروج أو الالتقاء « بالشلة » . لكن هذه العادة - بالإضافة إلى ما ذكرناه - تُضعف الرغبة في القراءة والقدرة على التركيز . فنجد الشباب هذه الأيام يتباهون أنهم لا يحبون القراءة ؛ مما يجعل تفكيرهم واهتماماتهم سطحية جداً . فعندما يلتقون يتناقشون في مباريات الكرة وما كان يجب وما كان لا يجب ، وأحياناً يناقشون الأفلام التي شاهدوها لكنهم لا يعرفون شيئاً عن الثقافة الرفيعة والأدب والفنون ؛ لأنهم لا يقرأون .

(٥) من نتائج إدمان مشاهدة « التليفزيون » أيضاً تنمية السلبية عند المشاهد ؛ فهو يتلقَّى دون أن يفكر ، وهذا يقتل الإبداع في الشباب . فبدلا من أن يقضي الشباب وقتاً في هواية مفيدة تنمي إحساسه بالفن والجمال كالموسيقى ، والرسم ، والتصوير ... إلخ نراه جالساً أمام « التليفزيون » .

(٦) يُشجع « التليفزيون » و « الفيديو » على الاستغراق في أحلام اليقظة ، وحب النجوم والبطلات .. خصوصاً في سن المراهقة . كما تترك مناظر الجنس والجريمة آثارها المدمرة على حياة المراهقين .

(٧) يتأثر المراهقون بما يشاهدونه في الأفلام من مظاهر البذخ في الملابس ، والأثاث ، والسيارات ، والكماليات ؛ مما يشجع على الاتجاه الاستهلاكي . ونحن نلاحظ انتشار بدعة معينة في الملابس نتيجة ما يشاهده الشباب على الشاشة ؛ فإذا لبست البطلة فستاناً قصيراً أو طويلاً ، ضيقاً أو واسعاً سرعان ما يصير « مودة » ، وتتهافت الشابات على تقليده . وقد استغلت إعلانات « التليفزيون » هذا الاتجاه فتقول : هذا الصابون

تستخدمه النجمة الفلانية ، أو هذا الحذاء يلبسه اللاعب المشهور فلان ، وهكذا .

(٨) يمتص الشباب قيمًا خطيرة من مشاهدة بعض الأفلام مثل الرغبة في الربح السريع . فتشاهد الفتاة فيلمًا عن فتاة فقيرة أُعجب بها شاب ثري فنقلها فجأة من الفقر إلى الثراء ، أو يشاهد المراهق فتى نقل كمية من المخدرات فصار غنيًا ، أو شابًا سافر لبلد خليجي فصار ينعم بالمال الوفير . وهذا ما يدفع الشباب لمحاولة الوصول للغنى والشهرة من أقصر طريق ، وغالبًا يكون هذا الطريق خاطئًا .

ولا ننسى تأثير « التليفزيون » على الأسرة كلها ؛ فقد أضعفت الشاشة الصغيرة العلاقات العائلية في معظم الأسر . إذ يُصبح « الڤيديو » أو « التليفزيون »هو مركز الجلسات ، والجميع من حوله ينظرون إليه ، ولا يُسمح لأحد بالحديث أثناء المشاهدة مهما كانت درجة أهمية الحديث . فالزوج مشغول بالمباراة ولا يريد أن يستمع لزوجته أو يساعد ابنه ، والأم مهتمة بالرواية ومنشغلة بها عن طفلها أو عن ميعاد نومه أو طعامه .

إن الأسرة كلها تتأثر بقيم غير مسيحية نتيجة لمشاهدة روايات لا تُمثِّل مجتمعنا المسيحي ؛ فمعظم الروايات تدور حول تعدد الزوجات ومشاكل الطلاق ... إلخ .

ويتطلب الأمر في كثير من الأحيان تدريب الأبناء على تحليل مضمون ما يشاهدونه من تمثيليات أو برامج . وهذا يستلزم حوارًا واعيًا بين الآباء والأبناء حتى يُميِّز الأبناء بين الغث والسمين ، وما يناسب وما لا يناسب من أفكار ومَشاهد .

تُرى هل انتهى عصر العبادة العائلية والصلاة معًا ؟ وهل انتهت الجلسة الهادئة التي يجتمع فيها أفراد الأسرة ليستمعوا إلى أحاديث بنَّاءة واختبارات قصيرة ؟




التربية الجنسية



التربية الجنسية

موضوع التربية الجنسية موضوع هام جداً في حياة الشباب ، ويظن البعض أن الحديث مع الأبناء عن الجنس يفتح أذهانهم للانشغال به . إلا أن الشباب هذه الأيام يتعرض لمعلومات جنسية كثيرة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة المحلية والخارجية . ومن الأفضل أن تقوم الأسرة بالتوعية السليمة ، بدلاً من أن يُكوِّن الأبناء مفاهيم خاطئة عن هذا الموضوع تؤثر في حياتهم ومستقبلهم .

والتربية الجنسية تبدأ منذ الطفولة ، لكننا سنُقصر حديثنا هنا على مرحلة المراهقة – وهي موضوع كتابنا .

يمر الطفل في حياته بمراحل متتالية من النشاط والكُمُون في مجال الجنس . وتكون المرحلة السابقة للمراهقة مباشرة مرحلة كمون لا يُبدي فيها الطفل أي اهتمام بالجنس ، بل نلاحظ عدم ميل الأولاد للبنات والعكس في تلك المرحلة . وتتميَّز مرحلة الطفولة بانحصار الطفل في ذاته .

لكن ما أن تبدأ الهرمونات الجنسية عملها في الجسم حتى تُثير الدافع الجنسي والأفكار الجنسية التي لا يمكن قهرها ؛ فيتجه المراهق نحو

الآخر (الجنس الآخر عادة) . فالفتى الذي لم يكن يهتم بالفتاة ولا يشعر بوجودها يتغير فكره واتجاهه بفعل الدافع الجنسي ؛ فينشغل فكره بها إلى أبعد حد . فهو يتأثر بها إذا رآها أو لمس يدها ، كما يفكِّر فيها أثناء غيابها . والعكس صحيح أيضًا فالفتاة لأنها تبلغ قبل الفتى تكون أكثر انبهارًا بالفتيان خصوصًا الذين يكبرونها سنًا .

وظهور الدافع الجنسي فجأة يُفقد المراهق توازنه ؛ فهو انتقال مفاجيء من التركيز على الذات إلى الخروج عن ذاته والاندفاع بالرغم منه – متخطيا ذاته – نحو الآخرين ، ويصبح هذا الآخر هو مركز الثِّقَل في حياته وتفكيره بدلا من ذاته ، ويحاول بطرق مختلفة لفت نظره .

لكن يُلاحظ في بداية مرحلة المراهقة اختلاط عدة مفاهيم ، فالزمالة والصداقة ، والانبهار والافتتان كلها ترتبط في ذهن المراهق بالجنس . وهو عندما يقول لقد وقعت في الحب لا يفرِّق في الواقع بين حب الشخص لذاته ، وحبه لصفاته الجسدية .

فهو في نظرته للآخر أثناء هذه المرحلة المبكِّرة يُجرِّد الآخر من شخصيته ؛ ليصبح شيئًا يُستخدم لإشباع الرغبة . ويصبح اهتمام المراهق منحصرًا في ملامح الآخر ، أو صفاته الجسدية ؛ فهو مجرد رمز جنسي يمكن استبداله بأي رمز آخر .

لذلك نجد علاقات عجيبة في هذه المرحلة ليس فيها أي تكافؤ عمري ، أو اجتماعي ، أو ثقافي . فقد يتعلق المراهق بخالته ، أو عمته ، أو بخادمة في البيت ؛ لأنه لا ينظر إلى ما هو متعارف عليه اجتماعيًا أو ما هي المعايير ، لكنه ينظر للشخص باعتباره شيئًا يُشبع حاجتة أو شيئا يُمتلك . لذلك لا نعجب أن نسمع المراهق يقول « البنت بتاعتي » .

ولأن الفرد يعشق ذاته من خلال الآخر فالجنس هنا هو إشباع وامتلاك واستهلاك فقط ، دون النظر للآخر كشخص له مميزات ثقافية أو مواهب أو مركز اجتماعي أو ثقافي كما يفعل الراشدون .

وأحيانًا يحاول المراهق الهروب من الآخر إمَّا نتيجة لقيمه الدينية ، أو للتربية المتزمتة ، أو لأنه شخص منطوٍ على ذاته . فيعامل هذا الآخر وكأنه

إنســان بلا جنس ؛ مما يؤدي إلى مـزيد من الانطواء ، وتحـويل الطاقـة الجنسية إلى الذات . فإذا تجاهل هذه الطاقة وكبتها وجمَّدها بسبب الخوف من طغيانها فإن هذا يسبِّب له قلقًا شديدًا وتوترًا – خصوصًا إذا كان هذا الكبت نتيجة للقيم الأخلاقية والدينية – دون اقتناع لمحاولة الظهور بمظهر الأخلاق والتديُّن ، أو خوفًا على سمعة والديه .

ولما كان مثل هذا الشخص يريد إشباع دوافعه دون أن يشعر بالذنب ، ودون أن يُحس به أحد فإنه يلجأ لأحلام اليقظة ليحقق فيها ما لم يستطع تحقيقه في الواقع ، ثم يلجأ إلى الإشباع الذاتي عن طريق الاستمناء .

الفتاة أيضًا تلجأ لأحلام اليقظة ، وتحلُم بالأمير الذي يخطفها على حصان أبيض ليتزوجها .

إن الإحساس بالحاجة للآخر إحساس طبيعي ، لكن المهم أن يُدرَّب المراهق نفسه على التعامل مع الآخر كإنسان ؛ فتصبح العلاقة بينهما علاقة زمالة ، واستمتاع بريء وصداقة .

وهنا ينادي بعض علمـاء النفس بالتسـامي بالدافع الجنسي ، وهي إمكانية يتميَّز بها الإنسان عن باقي المخلوقات . فيستخدم الطاقة الجنسية استخدامًا يسمو على الإشباع المباشر ويوجهها إلى تحقيق الإنجازات الإنسانية السامية . فالدافع الجنسي أساس معظم الفنون ؛ إذ يحوِّل الإنسان طاقته إلى التفوق الرياضي ، أو الرسم ، أو النحت ، أو الشعر ، أو الموسيقى ، فينصرف عن التفكير في الجنس فقط إلى الإبداع .

آراء واقتراحات

أولاً : لقادة الشباب والخدام

إن قيادة الشباب في مرحلة المراهقة مسئولية جسيمة ؛ فلا يجب إسنادها إلا لأشخاص مؤهلين لهذا الدور نفسيًا ، وروحيًا ، وعلميًا .

فالقائد الذي يعاني من مشاكل نفسية أو جنسية أو عاطفية لن يكون قادرًا على توجيه المراهقين وقيادتهم .

والقائد غير السعيد في بيته الذي يعاني من مشاكل أسريَّة يكون نموذجًا سيئًا لشباب مُقبل على الحياة .

والقائد المتسيِّب الذي لا يهتم بتوجيه سلوك الشباب خوفًا من أن يتركوا الاجتماع يُفسد كل تعليم .

والقائد الذي يعاني من الفقر الروحي لن يستطيع أن يُشبع الشباب ويكسب احترامهم .

كل هذه الأنواع من القيادات تؤثر تأثيراً سلبيًا بل وخطيراًعلى حياة المراهقين وسلوكهم ؛ فدور القائد في اجتماع الشباب دور أساسي ، ومن بعض مسئولياته :

(١) تدريب المراهق على التعامل السليم مع الآخر بالنشاط الجماعي في الدراسات ، والخدمات ، والزيارات ، والرحلات . ويكون هذا التدريب بطريقة عملية وليس بالشرح النظري .

(٢) أن يكون رأي القائد سليمًا في موضوع الجسد والدافع الجنسي ؛ فلا يعلِّم بأن الجسد شر ، ولا يُخيف المراهق من الجنس باعتباره قذارة أو دنسًا ، ولا يكون عنده مشاعر الإحساس بالذنب والدونية بل يتفهَّم ما يعمل في نفسه ، ويساعده بهدوء من منظور مسيحي سليم .

(٣) مساعدة الشباب (من الجنسين) ليصرِّحوا بما يُقلقهم سواء في اجتماعات صغيرة ، أو على المستوى الفردي دون رفض للحديث في موضوع الجنس ، أو جعل هذا الموضوع ضد الدين ، مع الحرص على عدم إدانة المراهق . فالمهم أن نساعده ليتغلب على مشكلاته ، لا أن نُشهِّر به أو نُدينه .

(٤) عقد حلقات للمناقشة ، يفضَّل أن تكون حلقات صغيرة العدد ؛ فهذا يساعد الشباب لكي ينَشطوا في البحث عن المعرفة بأنفسهم . ولا نكتفي بالموضوعات السطحية مثل الاختلاط ، أو الصداقة ... إلخ ، بل ليشجع القائد الشباب على البحث عن المعرفة بأنفسهم ، وقراءة الكتب المحترمة المفيدة ، وكتابة أبحاث في الموضوع ، ويدعهم يعبِّرون عن خلفياتهم وعما يشعرون به . وفي هذه الحالة لا يقوم بدور الواعظ أو المرشد أو العليم

بكل شيء ، بل يقوم بدور المنسِّق المنشِّط للحوار .. فيُعيد صياغة الآراء المطروحة ، ويقدِّمها للمجموعة ، ويربط بين الأفكار ويقارن بينها ليُبرز أوجه الاتفاق والاختلاف . كما يمنع الهزل والتعليقات الساخرة أثناء المناقشة .

(٥) يساعد الشباب لكي يتفهَّم كل منهم أن ما يحدث في حياته ليس شيئا شاذاً ، وأنه ليس وحده الذي يواجه هذه المشاعر .

ويجب أن يفهم المراهق أن المسيحي يعاني من قوة هذا الدافع كغيره من الشباب تماماً ، لكن الفرق هو في طريقة التعبير عن الدافع ؛ فلا يكبته بل يسيطر عليه حتى لا يقوده الدافع بل يوجِّه هو الدافع لكل ما هو نبيل وسام .

ثانيا : للآباء والأمهات

يُصدَم الآباء والأمهات أحيانا عندما يلاحظون اهتمام أبنائهم بموضوع الجنس سواء في قراءاتهم ، أو تصرفاتهم تجاه الجنس الآخر . لكن لا يجب أن يكون هذا الاهتمام مصدر قلق للآباء ؛ فهو تصرف طبيعي في هذه المرحلة . بل إن المراهق الذي لا يُبدي اهتماماً بالجنس غير طبيعي ، ويتعرض لمشكلات نفسية ؛ إذ أنه يكبت رغباته حتى يأتي اليوم الذي تنفجر فيه هذه الرغبات المكبوتة ، ويتعرض المراهق عندئذ إمَّا لمرض عصابي أو لشذوذ أو للانفعالات . لذلك لابد أن يقوم الآباء والأمهات بدورهم في مساعدة أبنائهم في هذه المرحلة الحرجة . ونقدِّم هنا بعض الاقتراحات للوالدين .

(١) لابد أن يساعد الآباء أبناءهم المراهقين ليفهموا بأسلوب علمي صريح وبسيط حقائق النمو والدافع الجنسي قبل مرحلة المراهقة ؛ حتى يتفهَّموا ما سيحدث لهم من نمو سريع ، ومن رغبة في الجنس الآخر ، وما يصاحب المراهقة من احتلام عند الفتيان وطمث عند الفتيات ... إلخ . هذه الحقائق البسيطة مع أنها هامة جداً إلا أن كثيرين من الشباب يدخلون مرحلة المراهقة وهم يجهلونها تماماً .

ويفضَّل أن يقوم الأب بالشرح لابنه ، كما تقوم الأم بالشرح لابنتها في

الوقت المناسب دون انفعال أو افتعال .

لا يجب أن ينتظر الآباء أن يتعلَّم المراهق هذه المعلومات من الأصدقاء ، أو من المنهج الدراسي ؛ فمن الأفضل أن يسمعها الأبناء من الآباء . ولا يقتصر تقديم المعلومات على جلسة أو جلستين للشرح ، بل يجب أن يُتيح الآباء الفرصة للأبناء للحديث عن موضوع الجنس كلما رغبوا في ذلك ؛ لكي يفهموا أن الجنس أمر طبيعي .

وحبذا لو تمكن الآباء من ربط الموضوع بالكتاب المقدس بقدر الإمكان ، وذلك بتقديم النماذج السليمة مثل حياة يوسف ، ودانيال ... إلخ . فهذه المعلومات ستساعد المراهق على تقبُّل الأمر ببساطة بدون خوف أو شعور بالذنب .

(٢) يجد الأبناء في الأسرة المسيحية أفضل مكان لفهم معنى الحب الحقيقي . فالمراهق يشعر بالأمان عندما يرى الحب العملي بين الأب والأم ، ويفهم أن العلاقة الزوجية هدف لمن يريد أن يحيا حياة طاهرة ، ومن ثمَّ يُمكنه أن يقاوم التجارب الجنسية الصبيانية .

(٣) دع المراهق يعرف أنك تتفهَّم ما يجري في حياته وتفكيره واتجاهاته ، وأنك تتعاطف معه في صراعاته .

الصراحة بين المراهق وأهله تساعده على كشف مشاعره أمام والديه ، فإن وجد منهما تفهُّماً واهتماماً فهذا يُسهِّل عليه التعامل مع مشكلاته .

(٤) ليت الآباء ينظرون للعالم ومغرياته من منظور المراهق حتى يتفهَّموا مقدار الضغوط التي يتعرض لها ، فيحاول الآباء التخفيف عنه .

فالمراهق يُستثار من أي منظر ، بل ومن أي شيء له علاقة بالجنس . فمثلاً رؤية الملابس الداخلية للجنس الآخر تستثيره ، فكم بالحري عندما يتعرض لصور ونماذج ومجلات وروايات مختلفة .

بعض الآباء يُعرِّضون أبناءهم – دون قصد طبعًا – لمثيرات شديدة كاصطحابهم لحفلات فيها إثارة ، أو عرض أفلام « ڤيديو » من نوع خاص أمامهم ... إلخ .

(٥) إن اتجاه الأهل نحو ملاحظة السلوك الجنسي للمراهق دون أن

يشعر بالرقابة عليه سيساعده علي اجتياز هذه المرحلة . فيجب ألا يترك الأهل المراهق وحيداً مدة طويلة ، كما يجب مراقبة مواعيده وتصرفاته دون إدانة أو توبيخ . كذلك يجب ألا يلجأ الآباء إلي التهكُّم منه عندما يكتب قطعة شعرية أو قصة للتعبير عن حبه ؛ فهذا سيُشعره بالذنب ، ويقطع حبال العلاقة بينه وبين والديه .

(٦) أعطِ ابنك (أو ابنتك) الثقة الكاملة ، لكن في نفس الوقت لاحظ أنه قليل الخبرة ؛ فلا تدعه يتعرض للتجربة فوق ما يحتمل . فلا تتركه مع صديق من الجنس الآخر وحدهما في البيت وتخرج . كن متفهِّمًا لهذه المواقف دون أن يشعر المراهق بأنك لا تثق فيه ، أو أنه مراقب .

(٧) علِّم المراهق حدود التصرف في علاقته بزملائه وأصدقائه من نفس جنسه – أو من الجنس الآخر – دون أن تتأثر بمقاييس ومعايير أسر أخرى من الأقرباء أو الأصدقاء . ولا تخش أن تُتَّهم بالرجعية ؛ فالأبناء يحتاجون إلي توجيه ، ومادمت تقوم بدورك كأب مسئول فإن الله سيساعدك .

(٨) كلِّم أبناءك دائمًا عن ضبط النفس في المواقف المختلفة ، وخصوصًا في موضوع الدافع الجنسي . اشرح لهم أن ضبط النفس يُعد أحد مقاييس النضج والقوة « البطيء الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممَنْ يأخذ مدينة » (أمثال ١٦ : ٣٢) .

(٩) اشرح لابنك خطة الله في حياة الإنسان ، وكيف أنه مخلوق على صورة الله (تك ١ : ٢٦) ، وأنه عمله (أفسس ٢ : ١٠) . وأن الله خلق جسم الإنسان وقصد به أن يكون طاهرا وسليما . كما خلق الدافع الجنسي ، وأمرنا أن نؤجِّل إشباعه حتى يتم ذلك في إطار الزواج .

فتأجيل الإشباع إذًا ليس أمرًا أخلاقيًا فقط أو واجبًا دينيًا ، لكنه تخطيط إلهي نافع للفرد وللمجتمع .

أما الإشباع خارج إطار الزواج فقد دعاه الله زنا. وليس قصد الله من ذلك أن يُحد من تمتعنا بهذا الدافع وإشباعه ، بل على العكس إنه يُريدنا أن نستمتع به استمتاعًا كاملاً دون شعور بالذنب .. « لا تزنِ » (مت ٥ : ٧)

(١٠) الآباء والأمهات نموذج جيد للشباب في سن المراهقة . فالفتاة تكوِّن مفهومها عن الأنوثة بملاحظة أمها ، والفتى يكوِّن مفهومه عن الرجولة بملاحظة أبيه . وكلما توطَّدت العلاقة بين الأم وابنتها والأب وابنه أمكن للمراهق تحديد جنسه وقبوله والاعتزاز به ، ومن هنا تتضح خطورة غياب أحد الوالدين .

(١١) قد يلاحظ الآباء على ابنتهم إعجابها بشابة أو سيدة أكبر منها سنًا (كإحدى المعلِّمات في المدرسة) ، وهي ظاهرة معروفة عند البنات في بداية المرحلة . فهل من ضرر ؟ وكيف نعالج الأمر ؟ الضرر هنا أن تتجه الفتاة للاكتفاء بهذه العلاقة مما يعوقها عن تكوين علاقات أخرى . وتُعالَج هذه الحالة بالتفهُّم والحنان مع تشجيع المراهقة على توسيع دائرة علاقاتها .

(١٢) بالنسبة للفتاة بصفة خاصة يجب أن تُقدَّم لها معلومات سليمة وصحيحة ومناسبة تُشبع رغبتها في المعرفة ، كما تكوِّن عندها مفهومًا إيجابيًا عن الجنس . ويجب أن نراعي غرس القيم الإيجابية فيها ، وليست القيم السلبية مثل : « ممنوع ، حرام ، لا تفعلي ... إلخ . » فنعلِّمها أخلاقيات مبنية على قيمة الفرد ومسئوليته أمام الله .

ثالثًا : اقتراحات للمعلِّمين في المدرسة

المعلِّم التربوي يُدرك تمامًا ما يمر به المراهق من أفكار وأحاسيس ومشاعر ، فلا يهاجم المراهق من هذه الناحية . فإذا رأى اهتمامًا خاصًا من المراهق بملابسه ومظهره وطريقة تصفيف شعره فيجب ألا يهزأ منه خصوصًا أمام زملائه ؛ إذ أنه يعرف أن هذه الأمور مرتبطة بمرحلة عمره . ولكن في بعض الحالات يحتاج المدرس أن يستدعي الطالب على انفراد لتوجيهه إذا رأى مُبالغة في جانب من الجوانب .

في مدارس البنات تريد الفتاة أن تتخلَّص من الزي المدرسي الذي تعتقد أنه يُخفي محاسنها ، وأن تلبس ما تريد من فساتين ، وتضع المساحيق على وجهها ، وتلبس الحُلي ... إلخ . ويجب أن يتفهَّم المعلِّمون والمعلِّمات أن الدافع لهذا طبيعي ، لكن يجب أن يوجِّهن البنات إلى أن لكل موقف ما

يناسبه من ملابس وزينة ، ويشرحن هدف توحيد زي الفتيات ، ويتركن للفتيات الفرصة للظهور بمظهر الأنثى الناضجة في بعض المناسبات كالحفلات المدرسية مثلاً إشباعاً لهذه الرغبة .

هذا عن السلوك والمظهر داخل المدرسة . لكن هناك جانب آخر مهم هو شرح الحقائق الجنسية . ففي منهاج العلوم دروس خاصة عن الأعضاء التناسلية ، ويجد المعلِّم (أو المعلمة) حرجًا شديداً في شرح هذه الدروس أو التعليق عليها ، بل في كثير من المرات لا يقوم المعلم بشرح هذا الدرس كباقي الدروس ، ويطلب من الطلبة استذكاره في البيت . وهنا يحس الطالب (أو الطالبة) أن الجنس مخجل ، وأن الجهاز التناسلي ليس كباقي الأجهزة في الجسم مثل الجهاز الدوري أو الجهاز التنفسي أو الجهاز الهضمي . مع أن شرح هذا الدرس بكل بساطة ووضوح فرصة رائعة لتعليم الطلبة المبادىء الأساسية عن الجنس بدلاً من أن يَستقوا معلوماتهم من الزملاء أو من كتب تافهة رخيصة . فقط يجب أن يُراعي المعلِّم تقديم الدرس بأسلوب علمي مُبسط دون شعور بالارتباك أو الحرج ، وأن يطلب من التلاميذ دراسة الموضوع بجدية ، بدون تعليقات غير مناسبة أو حتى الضحك أثناء الشرح ، وأن يُتيح الفرصة لهم أن يسألوا عن المعلومات الغامضة في الموضوع كما يفعل تماماً في باقي أجزاء المنهج .

وهناك بعض الأفلام العلمية المفيدة التي يمكن عرضها ، وبعض الكتب المبسطة التي تُشبع رغبة الطالب في المعرفة .

أما استخدام أسلوب القمع والقهر فلا يفيد بل يزيد الأمر سوءاً .

رابعاً : أفكار للمسئولين عن الشباب في الكنيسة

هل تعلِّم الكنيسة واجتماعات الشباب عن الجنس ؟

إنَّ رفض القيام بهذه المهمة ليس نوعاً من السلبية فقط ، بل هو موقف غير مسيحي ؛ فالمسيح اهتم بالإنسان ككل (يوحنا ٥ : ١٤ ، ٨ : ١١) .

وإن لم تقدِّم الكنيسة التعليم المناسب للشباب فلن يعاني الشباب وحدهم ، بل إن الكنيسة نفسها ستعاني من كثير من المشكلات الأسرية .

والشباب الذي يجد أن الكنيسة ترفض تعليمه حقائق التربية الجنسية سيتخذ موقفًا من ثلاثة :

(١) يرى أن الكنيسة تعتبر أن الجنس عنصر غير مهم في الحياة ، مع أن الشاب يحس بقوة الدافع الذي لايمكن إنكاره .

(٢) يرى أنه ليس هناك أي ارتباط بين ما يحس به الشاب من دوافع ، وما يقوم به من تصرفات ، وبين علاقته بالله . ولا يمكن أن يُصدِّق الشاب طبعا أن الله لا يهتم بدافع مؤثر بهذه القوة في حياته .

(٣) يعتقد أن الجنس لابد أن يكون شراً . وهذا ما يظنه أغلب الشباب عن رأي الكنيسة في موضوع الجنس ؛ مما يجعلهم يحسون بالذنب ، ويستمر هذا الإحساس حتى بعد الزواج ؛ إذ يظنون أن ممارسة الجنس في إطار الزواج شر أيضًا (خاصة بالنسبة للفتيات) .

ما هو دور الكنيسة ؟

يُركز عالمنا الحاضر تركيزًا شديداً على الجنس وموضوعاته ؛ لذا يحتاج شبابنا المسيحي أن يجد عند المسئولين قيمًا يتمسك بها . فالشاب يبحث عمَّنْ يدله على ما هو صواب وما هو خطأ ، والكنيسة في نظره هي المرساة الثابتة في عالم مليء بالأمواج المتلاطمة . وعندما تقترب الكنيسة من الشباب بصدق وأمانة بشأن هذا الموضوع ستجد منهم آذانًا صاغية .

لقد اعتادت الكنيسة أن تقدِّم قائمة بالممنوعات ، مع أنها يجب أن تقدِّم النظرة الإيجابية عن الجنس . كما تُركِّز على أن الجنس ليس شراً في ذاته ؛ لأنه خليقة الله . إن الشباب في حاجة لمَن يستمع لهم لا إلى قاضٍ يُدينهم ، أو جندي يقبض عليهم .

لتقدِّم الكنيسة تعاليمها مُدعَّمة برأي الكتاب المقدس وشواهده ، وليست مجرد آراء . وإن لم يجد الشاب التعليم المسيحي المناسب عن الجنس فسيحصل على معلوماته من مصادر دنيوية قد تكون مُدمرة لحياته .

وفي ضوء هذا أرجو أن يفحص قادة الشباب أنفسهم بأمانة ليكتشفوا موقفهم الحقيقي نحو موضوع الجنس ، وهل يمثِّل اتجاههم وجهة النظر

تابية . فمثلا يجب ألا نعتبر الأخطاء في إطار الجنس أشد خطورة من
أخطاء أخرى في الحياة كالغش ، والكذب ... إلخ . فالسيد المسيح غفر
انية كما غفر للص ، وأدان النظرة الشريرة كما أدان الكبرياء .

ى المسئولين عن برامج الشباب :

إن أساس أي برنامج ناجح عن الجنس هو الصراحة والانفتاح من جانب
ة الشباب ؛ حتى يتشجع الشاب فيأتي بأسئلته واستفساراته دون خوف .
ويجب ألا يخشى قادة الشباب من التعرُّض للموضوع ومناقشته بين
حين والآخر ؛ حتى يفهم الشباب أن المشاعر الجنسية ليست خطيئة بل هي
يء عادي وعام .
كما يجب أن يهتم قادة الشباب بتوضيح مميزات تأجيل إشباع الجنس
تى يتم في إطار الزواج ، والتركيز على الرأي الكتابي .
وإذا كان لنا أن نختار بين أن يعرف الشباب حقائق الجنس في الكنيسة
أي مكان آخر فلا شك أننا نفضِّل الكنيسة ؛ لما تتميز به من جو الاحترام
لوقار .

ى المسئولين عن اجتماعات الأسرة :

نرجو أن تهتم الكنائس بعمل فصول للآباء والأمهات ؛ وذلك لإرشادهم
ى مايقوله الكتاب المقدس عن الجنس . فكثيرون من الآباء :

- لا يعرفون رأي الكتاب .
- أو أن أفكارهم عن هذا الموضوع خطأ .
- أو يشعرون بالحرج عندما يسألهم أبناؤهم .

ويمكن الاستعانة بطبيب لتقديم المعلومات الطبية عن هذا الموضوع ،
كما يمكن تدريب الآباء على طريقة إجابة أسئلة الأبناء ؛ فنقسِّم الآباء إلي
جموعتين :

أ - مجموعة تهتم بأسئلة الأطفال .

ب - مجموعة تهتم بأسئلة المراهقين .

خاتمة

بعد أن قرأت هذا الكتاب أرجو أن تكون قد عرفت أن مرحلة المراهقة ليست أزمة ولا مرضًا ، بل هي مرحلة مُشرقة من مراحل العمر . إنها أول خطوة على طريق النضج ، يفرح بها الشباب كما يفرح الآباء عندما يرون أبناءهم وقد كبروا وصاروا شبانًا وشابات .

وإن كانت هناك بعض الاختلافات بين الآباء والأبناء فهي اختلافات عادية تحدث دائمًا في كل بيت ، وفي كل زمان . لذلك أكَّد الكتاب المقدس على أهمية هذه العلاقة بالوصية : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء ؛ لأن هذا مرضي في الرب . أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا . » (كولوسي ٣ : ٢٠ – ٢١) .

والمحبة قادرة على فعل المعجزات ؛ لأن « المحبة لا تسقط أبدًا » (١ كورنثوس ١٣ : ٨) .

المراجع

(1) Grant, Wilson W.: From Parent to Child About sex, Zondervan 1977.

(2) Hian, Chua Wee: Dear Mum and Dad, IVP 1984.

(3) McDowell, Josh: The Dad Difference, Scripture Press1990

(4) Stafford, Tim: The Trouble with Parents, Zondervn 1978

(5) Meier, Paul: Childrearing, Baker Books 1993 - 1978

١ – إبراهيم قشقوش : سيكلوجية المراهقة . الأنجلو ١٩٨٠

٢ – عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم (دراسة نفسيه) سلسلة عالم المعرفة العدد ١٦٠

٣ – فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربي

٤ – كلير فهيم : المراهقون وصحتهم النفسية . دار الثقافة ١٩٨٧

٥ – ——— : المشاكل النفسية للمراهق .. دار الثقافة ١٩٨٦

٦ – كوستي بندلي : مواقف الآباء ومشاكل البنين منشورات النور ١٩٨٥

٧ – كوستي بندلي : مع تساؤلات الشباب منشورات النور ١٩٨٥







هذا الكتاب :

صورة واقعية لشبابنا وعلاقتهم بوالديهم .

إنه يتحدث إلى الأبناء كما يكلِّم الوالدين والقادة والمربين .

يقرأه الابن والابنة ليعرفا السر وراء تصرفات والديهم . كما يقرأه الآباء والأمهات والقادة ليفهموا نفسية الأبناء .

عندما تقرأ هذا الكتاب تحس أن الكاتب يحدثك شخصيًا . كما تشعر أنه يعبر عما في نفسك .

الكاتب : شخصية معروفة منذ سنين طويلة كقائد للشباب ، ومفكر مسيحي . عمل في مجالات متعددة ، وله الكثير من الدراسات في علم النفس والاجتماع والتربية .. أيضاً كتب عدة مؤلفات أعيد طبعها أكثر من مرة ، ومكانته وخبرته في النشر المسيحي العربي متميزة ومعروفة للجميع . ولم يتوقف عطاؤه عبر السنين في مجالات الخدمة المختلفة بمصر والشرق الأوسط . نحن نفخر بأن ننشر له هذ الكتاب .

الناشر



